

روايات رومانسية عالمية
عابر

فراشة الحبة

كاي ثورب

مِنْ أَجْلِ حَفْنَةٍ جَنِيهَاتٍ



فراشة الحبة

www.lilias.com

فراشة المحبة

من اجل حقنة الجنيهات

بعد ما مات ابوها اصبحت ليزا الأخت والأُم والأب لشقيقها
الاصغر ريك . وبرغم الحنان والعطف والرعاية التي احاطت بها
ليزا شقيقها ، انحرف ريك عن الطريق القويم مسببا لنفسه
ولاخته سلسلة مشاكل .

وبينما كانت ليزا واقعة في احد مآزق ريك ، ظهر اشقذ في
شخص برادلي تورثون ، ودفع المبلغ المطلوب لأبعاد ريك عن
فضبان السجن : لكن الثمن الذي وضعه كان غالياً ... فهل
كان حقا هكذا ؟ ولماذا يطلب برادلي تورثون الزواج من ليزا
كشرط لا تراجع عنه ؟ وما هو حجم «حقنة الجنيهات» التي
سيجنيها هو من هذه الصفقة ؟... والحب ... هل يأتي تحت هذه
الظروف ؟

www.lilas.com

مكتبة زهران

١٥ ش الشيخ محمد عبده

بجلف الجامع الأزهر

ت : ٠١٢٣٧٨٦٤١٨

NOOR

١ - ليزا وريك

ظهر البيت عند منعطف في الطريق ، محاطا بقوس من الاشجار مربع الشكل ، من الحجر الرملي الدافىء اللون وفي تصميمه لمحة من الفن الاغريقي وكانت الشمس حارة تغرق واجهته فبدا شامخا متينا . ولم تتبين ليزا الكسور في أحجاره ، واختفاء بعض أجزاء نوافذه ، ومظاهر الإهمال فيه ، إلا عندما خرجت من دائرة ظلال الاشجار ، وتبعت منحنى الطريق أمام المواجهة . لقد بدا المكان مهجورا .

ووقفت لحظة عند بداية السلم الحجري المؤدى الى الباب وأخذت تخطط في ذهنها العبارات الوصفية الاولى . كان عليها في هذا التحقيق أن تختار بحرص كل ما شأنه أن يجذب اهتمام رئيس التحرير ، دون أن تتعرض كثيرا للناحية الفنية التطبيقية لهذا الأثر الذي يعود تاريخه الى القرن السابع عشر . هزت ليزا فجأة كتفيها النحيلتين : أي فارق حقيقي بين أن يكون التحقيق مقبولا أو مرفوضا ؟ إنهم بالتأكيد لا يمكن أن يدفعوا لها خمسمائة جنيه ، وهو المبلغ الذي كان عليها أن تعثر عليه لو أرادت أن تنتشل ريك من المشاكل التي تورط فيها بسبب ادمانه المقامرة . هذه المرة كان قد اغرق نفسه تماما ! ففي بحر عشرة أيام كان المحاسبون سيطلعون على دفاتر الشركة وحينئذ ستظهر الحقيقة ما لم يستطيع ريك أن يعيد ما كان قد أخذه ولكن خمسمائة جنيه ؟ أين يمكن العثور على هذا المبلغ في مثل تلك الفترة الزمنية القصيرة ؟ وعادت بها الذاكرة وهي واقفة في مكانها ، الى عصر اليوم السابق في غرفة الجلوس الصغيرة في البشقة التي يشاركها إياها أخوها والى عيني ريك الزرقاوين اليائستين حينما كان يسألها العون قائلا :

[علي أن أدبر المبلغ بأية طريقة - إن ماكبين سيقدمني للمحاكمة . أنا أعرف أنه سيفعل ألا تعرفين أحدا يمكن أن يقرضنا المبلغ]

[ريك لا أعرف حتى من يمكن أن يقترضني أقل بكثير من هذا المبلغ حتى ولو عرفت فيجب أن أعطي تفسيراً لذلك لا أستطيع أن أخبر أحداً أنني في حاجة إلى ذلك حتى أحول دون دخول أخي السجن . ما الذي جعلك تأخذ هذا المبلغ ؟ وما الذي فعلته بكل هذه النقود ؟]

وهو كتفيه وشاح عنها بوجهه الوميم الذي تقلصت ملامحه قائلاً :

[ما جدوى ذلك الآن ؟ يبدو أنك لن تساعدني]

[أنت تعرف يا ريك أنني لو كنت أملك المبلغ أو أعرف أية وسيلة للحصول عليه في الوقت المناسب لكنت حتماً بادرت إلى مساعدتك]

لقى ريك بنفسه فوق المقعد وانكأ بهرقفيه على ركبتيه واستند رأسه على يديه وقال :

[بدلت المستحيل من أجل الحصول على قرض ولكن محاولاتي فشلت]

قالت ليزا بتردد :

[تستطيع أن تذهب إلى السيد ماكبين وتعلمه بالحقيقة قبل وصول المحاسبين وأعرض عليه المبلغ استقطاعاً من مرتبك . أستطيع أن أساعدك في ذلك سأذهب معك في الصباح إذا شئت]

ورفع ريك رأسه ونظر إليها بدهشة ثم انفجر قائلاً :

[لا بد أنك تمرحين ! أخبر ماكبين ؟ لا بد أنه سيستدعي الشرطة في الحال]

[إنها فرصة . على الأقل فديشمر نحرك بشيء من الاحترام لشجاعتك في اللجوء إليه أرجوك يا ريك أرجوك افعل ذلك]

قفز من مكانه وقال وهو يتجه نحو الباب :

[إذا كان ذلك أفضل ما يمكن فعله فلا جدوى من وجودي هنا على أن أفكر لأجد مخرجاً]

أسرعت خلفه وأمسكته بذراعه وسأله :

[هل ستعود ؟]

ووقف ويده على المقبض وقال وهو يهز كتفيه في عدم مبالاة :

[نقصد من إذا كنت سأهرب من المأزق ؟ فكرت بالفعل في ذلك ولكنني لا أتخيل حياة قائمة على الفرار ثم إن ماكبين لن يهدأ له بال حتى يقدمني إلى العدالة أنسي الأمر يا ليزا سأجد مخرجاً لتسهر في انتظاري]

ولكنها كانت بالطبع متسهر في النظارة . فكرت في ذلك وهي واقفة في مكانها حيث تركها وأغلق الباب خلفه . كانت حتماً ستتنتظره كما انتظرته مرات عديدة في قلق وحيرة لأن ريك هو كل ما بقي لها من العائلة .

كانت ليزا في الثانية عشرة وأخوها في العاشرة عندما قتل والديهما في حادثة منذ أحد عشر عاماً وكانت العمة التي تولت تربيتهما تحاول أن تكون رقيقة معهما لكن طبيعتها القاسية كانت أقوى ولم يجد ما يدعوها إلى إخفاء مشاعرها عنهما ولذلك حولت ليزا كل طاقاتها العاطفية نحو أخيها الصغير أخته وعملت على حمايته إلى حد تحمل التأنيب على سوء أفعاله لأنها لم تكن تختمل رؤيته حزناً . وفي السابعة عشرة اتخذت الخطوات الأولى نحو تحقيق طموحها في التخصص المهني في الهندسة المعمارية لكن موت العمة اليزابيث بعد عام انتزع منها هذا العزاء عن حرمانها . ولأنها أصبحت وحيدة تناما في هذه الدنيا فقد رحلت مع ريك إلى لندن على أمل أن يجدا في العاصمة المستقبل الأمن الذي كانا يسعىان إليه ، وإن اختلفت سبلهما .

ووجدت ليزا عملاً لقاء راتب بقي بهاجاتهما معا . عملت خطاطة في شركة هندسية معمارية لكن الشهور الأولى كانت صعبة حتى أنها عجزت عن اقتراح بديل حينما أعلن ريك رغبته في ترك المدرسة في نهاية الفصل الدراسي ووجد لنفسه عملاً . وعندما بلغ ريك الثامنة عشرة أصبح شخصاً مختلفاً عن الفتى الذي عرفه منذ عامين . كان ساخطاً على عمله وعلى حالته المادية وعلى كآبة الحياة بصفة عامة ووجد طريقه إلى موائد القمار وأصبح مشدوداً بلا وعي إلى عجلة الروليت معتقداً أن المقامرة ستحل مشاكله المادية ولسوء حظه أنه كان محظوظاً في البداية ذلك أنه حتى بعدما أصبح يخسر بصفة مستمرة كان يقنع نفسه دائماً بأن الدورة التالية للعجلة ستعوضه ، وفي ذلك الوقت بدأت ليزا تكتب كصحفية غير متفرغة إضافة إلى عملها الآخر ، مستفلة معلوماتها في الهندسة المعمارية وحبها للتاريخ وكان كل ما تكتبه يذهب إلى ريك ، ويساعده على الخروج من العثرة تلو الأخرى ، ويحول بينه وبين الغرق ولم يكن الكلام معه يجدي . لكن ليزا كانت تغري نفسها بأن رضاها ولم يفعل شيئاً خارجاً على القانون لكن الوضع الآن تبدل .

[أنسة فاريل]

كان الصوت منبعثاً من أعلى السلم ، أعاد ليزا دفعة واحدة إلى الحاضر .

وكانت المرأة التي وقفت لتنظر إليها بانتسامة في العقد الخامس من عمرها وقد ارتدت ثوبا فضفاضاً اختلطت فوقه الافرقة ببقع الطلاء الأزرق بمختلف درجاته . وصعدت ليزا الدرجات الثلاث وأسكتت باليد الممدودة وقالت :
[أنا أسفة كنت مستغرقة في أحلام اليقظة أرجو ألا أكون جئت في وقت غير مناسب يا سيدة مارتشبانك]

ضحكت المرأة وقالت : [أنت تشيرين بذلك الى أن ثوبي غير مناسب للترحيب بالزوار يجب أن تسامحيني يا عزيزتي كنت أعلم هذا الرجل المجنون الذي يسمي نفسه الخصالي زحرفة كيف يمزج الطلاء ليكون اللون المرغوب كما سبق أن قلت لك في الهاتف ، أنت على الرحب لإلقاء نظرة على « قصر روال » وان كان علي ان أذكرك أننا على شيء من الفوضى حالياً بسبب نزع نصف أرض الصالة وبمشره الحجاره في كل مكان ، أرجو ألا تكوني قد توقعت عملاً ترميميا كاملاً ؟ ربما كان يجب علي أن أذكر أننا بدأنا العمل منذ أكثر من شهرين]

وسكتت لتلتقط انفسها وانتهزت ليزا الفرصة لتقول :
[لا أهمية لذلك ، فالتحقيق الذي أعده يدور حول عملية ترميم بيت قديم]
وانفجرت أساريرها عن البسامه واستطردت تقول :
[أعتقد أن مثل هذا التحقيق سيهم كثيرا هؤلاء الذين يشعرون بيوتنا لديمة فهو يوحى اليهم بأفكار ملائمة]

[تعالي معي الى الداخل يا عزيزتي لأطلعك على المكان]
عبرت السيدة مارتشبانك مع زائريها مدخل الباب ذي الأعمدة الجميلة الى صالة واسعة جيدة الإضاءة يرتفع منها سلم أشبه بالمروحة الى الطوابق العليا ، قالت :

[ما رأيك في أن تبدأ بالطوابق العليا حيث انتهى الكثير من العمل ، ثم نعود أدرجنا الى أسفل ؟]

وأومأت ليزا موافقة وأخرجت من حقيبتها مفكرة وقلما . وقالت :
[لنعمل الأسهل بالنسبة اليك وأستطيع فيما بعد أن أرتب عناصر التحقيق]
كان العمل يجري على قدم وساق في الطابق الأعلى وعمال الزخرفة يملأون الكثير من غرف النوم بينما كان عمال الكهرباء يشتغلون في الممر الرئيسي ، وقد أبدوا ترحيباً في الرد على أمثلة ليزا حول الصعوبات التي

يلاقونها في مثل هذا البناء القديم ، واستطاعت هي من أجرة رئيسهم أن تستخلص بعض النقاط التي يمكن أن تفيدها في موضوعها .
عادت المراتان مرة أخرى الى الطابق الأسفل وقادت السيدة مارتشبانك ليزا الى حيث كان يعمل فريق من الرجال في إصلاح أرضية ثلاث غرف . ووقفت الأخيرة لتابع في اهتمام عمليات الترميم وتستفسر بدقة عن الجديد فيها . وحينما تبعت مزيلها مرة أخرى الى الخارج اكتشفت ان حرارة الشمس لم تخفف من الرائحة القوية المنبعثة من خليط الطلاء المستعمل على الجدران ، وسألته السيدة مارتشبانك :

[هل استطعت الحصول على ما تريدين يا أنسة فاريل ؟]

[نعم ، شكراً لك ، في الحقيقة وجدت ما يستوعب عدة مقالات]
وانقسمت ليزا ومدت يدها قائلة :

[كان كرمنا منك ان تستقبليتي وأنا شديدة الامتنان لك على الوقت الذي ضيعته في مرافقتي . أرجو ألا أكون أخذت من وقتك أكثر مما يجب]
[على الإطلاق من دواعي سروري أن أستقبل من تهتم حقيقة بما نحاول أن ننجزه هنا]

واستدارت عندما فتح باب في الجانب البعيد من الصالة وظاهر من خلاله رجلان مقبلان وصاحت :

[آه ، والتر . كنت أَسْأَلُ أين ذهبتما]

ثم قالت ليزا :

[تعالي لتقابلني زوجي سيهم كثيرا بالتحقيق الذي تعديته]

قالت السيدة مارتشبانك وهي تشير الى أكبر الرجلين :

[زوجي وهذا برادلي فورتون وهو هنا مثلك في زيارة خاطفة]

وانقسمت واستطردت تقول :

[الالسة فاريل صحافية يا والتر ، انها تكتب تحقيقاً عن « قصر روال »

والترميمات التي نقوم بها]

وعاد الزوج وهو يشد على يد ليزا وعيناه تلمعان وسط شعره الرمادي :

[رائع للغاية نستطيع عن طريق ماسينشر أن نجذب الناس للمجيء الى هنا بعد انتهاء العمل لزيادة موارد الأسرة فالترميم عمل مكلف في هذه الأيام]

[لسوء الحظ أن هذا صحيح]

NOOR

ولم يكن الرجل الآخر قد تحرك من أمام الباب ولكن في الوقت الذي كان السيد مارتشبانك يتحدث كان يتابع ليزا بنظره عندما تكلم ، أدارت ليزا رأسها ونظرت إليه للمرة الأولى ورأت رجلا طوله وحجمه فوق المتوسط ، متحفظ المظهر ولم تهتم كثيرا بهذه التفاصيل ذلك أنها في تلك اللحظة كانت متنبهة فقط إلى النظرة الفاترة المسددة نحوها .

سألت بصوت خافت وهاديء :

[في أي دار نشر تعملين يا أنسة فاريل ؟]

رفعت رأسها ببطء وقالت :

[لأعمل لحساب دار واحدة فلأنا لست متفرغة ولست مرتبطة]

[إنها مقالة بالعمولة إذن ؟]

ترددت ليزا ثم قالت :

[ليس تماما]

[إما أنها كذلك . أو لا . إذا لم تكن كذلك فلماذا لا تقولين ؟]

وأحست ليزا بأنها متأهبة للدفاع دون أن تدري لماذا تماما وقالت :

[بعت أعمالا لهذه المجلة بالذات من قبل ، طلبوا مني المزيد وهنا يمكن

اعتباره من وجهة نظر غير دقيقة عمولة]

[أعتقد أنها عمولة . وربما نستطيعين إقناعهم بذلك]

وهنا صرخت السيدة مارتشبانك :

[براد لي فوربون أنت استقرازي لانتلقي بالآلية يا أنسة فاريل]

ونظرت إلى ساعنها وقالت :

[إنها الرابعة ينبغي لتناول الشاي يا عزيزتي]

وابتسمت وأكملت قائلة :

[كان ذلك هو أول مكان انتهينا من اعداده . يجب أن نأكل بطريقة

صحيحة لنعمل بطريقة صحيحة]

[هذا كرم منك لكن الأنوبيس الذي سأعود به إلى المدينة يتحرك بعد

نصف ساعة . أشكرك مرة أخرى يا سيدة مارتشبانك للسماح لي بالهجيء

وأعتقد أنه يمكنك التأكد من أن المقالة ستظهر]

وبسرعة قال أصغر الرجلين :

[أنا عائد إلى لندن وأستطيع أن أوصلك وأوفر عليك الوقت والسير حتى

[القرية]

ولم يكلف نفسه مشقة انتظار ردها واستدار ناحية الزوجين مارتشبانك قائلا :

[لن أستطيع البقاء لتناول الشاي يا غريس ، علي أن أرى شخصا ما .

سأراكما في وقت آخر وحتى ذلك الحين ، استمرا في عملكما]

قالت غريس مارتشبانك :

[تحباني إلى والدتك يا برادلي وحينما تنتهي من إعداد المكان يجب أن

تحاول إحضارها لقضاء عطلة معنا وشكرا لك لأنك جئت لزيارتنا]

[كان ذلك من دواعي سروري ، هل ستأتين معي أنسة فاريل ؟]

كانت سيارته واقفة قرب البيت ، سيارة واسعة فيها أحدث وسائل الراحة

وقادرة على أن تعود بها إلى لندن في أقل من نصف الوقت الذي يستغرقه

الأوتوبيس . اجلس ليزا في المقعد الأمامي ثم استدار ليجلس بجانبها أمام عجلة

القيادة وبدأ يحرك السيارة دون أن يلتفت إليها ولوح بيده لمضيفيه قبل أن

ينطلق . حاولت ليزا أن تجد موضوعا تفتح به حديثا مع رفيق الرحلة واستنتجت

أنه من جانبها لا يرغب في الحديث واختلست نظرة نحو وجهه ، محاولة كشف

الشخصية القابعة خلف القم الحازم ، والفك المربع وتأكدت أنه ليس وسيما

على الإطلاق : كان أنفه في الواقع أشبه بالمنقار ربما كان أفضل ما فيه شعرة

الغزير الداكن القصير إلى الحد الذي لا يسمح بأن يتطاير .

وأطلت من النافذة على مناظر الريف الطبيعية متسائلة عما يفعلها ريك في

هذه اللحظة ، وعما إذا كان وجد طريقة للخروج من ورطته . كان من

الطبعي أن يكون في هذا الوقت من عصر يوم الاثنين في عمله لكنها شكت

في أن يكون هناك لأن ذهابه إلى عمله يعني أن يواجه مشكلته . وفكرت أن

ذلك كله بسبب غلطتها فقد كانت هي التي أقنعت بأن يتدرب على الدفاع .

أما هو فقد كان يريد أن يتجه نحو شيء يمكن أن يحقق له عائدا سريعا . ولو

أنها تركته يشق طريقه حسيما أراد فإن شيئا من هذا ما كان ليحدث .

[تبدين كما لو كنت تخملين هموم العالم على كتفك . ثم تعانين ؟]

مشاكل مادية ؟]

فاجأها الرجل الجالس بجانبها بملاحظته حتى أنها ظلت لحظة عاجزة عن

النطق ، وعندما تكلمت كانت تبرزها غاضبة :

[إذا ظننت أن عرضك توصيلي بعطيك الحق في توجيه أسئلة شخصية يا

NOOR

سيد فورنون ، فإنني أفضل أن توقف السيارة حالا وأن تدعني أنزل منها [ولم يتحرك على الإطلاق وإنما قال في هدوء :
[التحدث مع الغرباء يساعد أحيانا على التخفيف من الهموم ، وربما على إيجاد حل للمشكلة التي تبدو مستعصية الحل]
أشدد تورنر ليزا وقالت : [كلا ، أشكرك سأجد الحل بنفسى]
[الإرهاق البادي في عينيك يدل على أنك بذلك وقتا طويلا وانت تحاولين إيجاد الحل]
ورمقتها بنظرة جانبية سريعة وعاد يقول :
[إننى بإخلاص أحب أن أساعدك يا أنسة فاريل . ثماني مضطرا الى الاستمرار في مناداتك بذلك]
[إسعي ليزا]
[ليزا إنه يروفتني وهو يناسبك]
وتغيرت لهجته بعض الشيء واستطرد يقول : [من تكونين يا ليزا فاريل ؟
أنا أعرف أنك صحفية وأنت تعيشين فى لندن ولكن ماذا عن الباقي ؟ هل تحبين ان اتحدث عنك ؟]
ابتسمت فجأة وأحست نحوه رغما عنها بشيء من المودة وقالت :
[إذا شئت]
قال وهو يتحدث فى مقعده متخلدا وضعا أكثر راحة :
[يمكننى أن أقول أنك فى حوالي الثالثة والعشرين ترتدين ماشئت من الملابس دون تقيد . معتدلة فى الأسكل ، لا بد أن تكوني وراء هذه البشرة ، وهاتين العينين اللتين تبدوان فى انسجام تام مع لون الشعر . وأنا متأكد من أنك لاندغشين ولا تشربين ولا تتركضين وراء الرجال]
كانت الضحكة التي أطلقتها متفصفا لها بعد إرهاق الساعات الأربعة والعشرين الأخيرة ، وقالت :
[ما قلته قريب من الحقيقة]
[لكنها ليست كافية ما رأيك فى أن تمددني بالمعلومات الكاملة]
[ليس هناك فى الحقيقة الكثير . أنت أعطأت فى نقطة واحدة فقط . فالصحافة تشغل جزءا من وقتي فقط وفي ما تبقى من وقت أعمل فى شركة . وأعيش مع أنسى فى شقة فى لندن]

١. ما من أفراد آخرين فى الأسرة ؟
[لا أحد على الإطلاق]
ولاد بالصمت وبعد لحظة استطردت قائلة :
[لا أنهم لماذا يجب أن تعرف عني كل شيء ، فى حين أننا فى الغالب لن نلتقي ثانية]
[لكننا سنلتقي الليلة على العشاء مثلا . هل تناسبك الساعة القادمة ؟]
سألت عاجزة عن إخفاء ضيقها :
[ألا ترى أنك مستعجل لوجها ما ؟]
[بالطبع وأحب ألا يكون موقفك سلبيا مالم يكن لديك موعد سابق . هل انت مرتبطة الليلة ؟]
[كلا . ولكن ..]
قاطعتها قائلا بحزم :
[يجب أن أعرفك أكثر ولا أستطيع أن أفكر فى طريقة أفضل من تناول العشاء معا على أفراد وفى هدوء]
واسترخت ليزا فجأة فى مقعدها . إنها لم تقابل أبدا أحدا فى مثل تصميم هذا الرجل . كانت عجزته كدفيلة بأن تسهل لها مهمة الرفض لكن أسلوبه كان جزءا من سلبية . وجدت نفسها تقول :
[سأتناول العشاء معك]
وكانت الساعة قد تجاوزت الخامسة عندما أنزلها أمام بيتها . وقال :
[حتى نلتقي فى القادمة]
وصعدت ليزا السلم ركضا . ودخلت الشقة . لم تجد ريك كما توقعت ولم تعثر له على الريدل على انه عاد طوال اليوم . وانجھت الى غرفة نومها وخلعت حذاءها واستدارت لتأمل نفسها فى المرآة ثم ابتسمت . وخلعت ملابسها وراحت تستعيد كلعات الغزل التي سمعتها من برادلي . وابتسمت من جديد لفكرة خروجها للعشاء معه . سيكون من الرائع أن ترافق مرة شخصا من الواضح أنه يستطيع أن يوفر لها ولنفسه أفضل ما فى الحياة . السيارة الأنيقة والملابس الثمينة وأسلوبه فى التحدث مع الآخرين . كل ذلك كان يؤكد إمكانياته . لم تكن تعرف عنه شيئا باستثناء أنه صديق عائلي للزوجين مارشيانك . ولكن هذا الأمر كان كافيا فى حد ذاته فالزوجان لم يكونا من

النوع الذي يمكن أن يصادق السبعين من الناس . وانتشلها من افكارها صوته
محتاج يدور في قفل الباب . وذهبت الى غرفة الجلوس لاستقبال ريك ، الذي
قال باقتضاب :

[متى عدت ؟] .

[منذ دقائق] .

وتأملت . كان واضحا من سلوكه أن الموقف لم يتغير . وسألته :

[هل تريد أن تأكل ؟]

هز رأسه بالنفي وقال : [عدت فقط لأغسل ولأغير ملابس]

وتردد ونحاشى النظر اليها ثم تلاحت كلماته بسرعة :

[سيكون هناك لعب الليلة في بيت فيل . هل تقضيتي ؟]

وحملت فيه وصاحت :

[كلا . لن تقامر الليلة يا ريك]

[هل يمكنك التفكير في أية طريقة أخرى تمكنتي من الحصول على

النقود ؟ إنني يائس يا ليزا]

[ريك ما جدوى ان تورط نفسك أكثر بالديون في مثل هذا الوقت ؟]

[ربما حالفني الحظ . إذا كسبت الليلة فسامتطيع بسهولة أن أجمع مبلغ

الخمسمائة جنيه . تعلمت نظاما جديدا لا يمكن أن أخسر . ما عليك ألا أن

[...]

غطت ليزا اذنيها يديها وصاحت :

[لا أريد أن أسمع ان شيئا فيك لم يتغير حتى لو خرجت من هذا المأرق

فستستمر في المقامرة]

حدق فيها لحظة ثم قال متجاهلا كل ما قالته :

[لن تعطيني النقود . ألست كذلك ؟]

وهزت رأسها بالنفي وركته يزم شفقه ثم قال :

[سأجد طريقة أخرى للحصول عليها]

وانصرف قبل أن تتمكن من منعه وصفق الباب خلفه بعنف . قالت ليزا

لنفسها إنها مجرد مناقشة حامية في محاولة لنسيان التهديد الذي كان في

صوته . كان متورطا بما فيه الكفاية وقد يورط نفسه أكثر ، حاول فقط ان

يحيفها وفي الغالب انه يقف في الخارج في انتظار ان تلحق به مثلما كانت

NOOR

تفعل عندما يغضب ويخرج . والان عليها أن تذهب في أثره لتعطيه ما طلب

من مال ، بل لتطلب اليه ان يتوب الى رشده .

لكنها لم تجد ريك في انتظارها ، لقد اختفى ، وعادت ليزا أدراجها وهي

تشم بالوحدة والضياع ودامعهما إحساس بالخوف الشديد .

كان من الواضح أنه وجه مألوف لي المطعم الفاخر وتركته له اختيار قائمة الطعام لأفعل أرجاء المكان . كان تقليديا رائعا على مستوى رفيع للغاية . لا عجب إذن في أن أحدا لم يأت بها إلى هنا من قبل . وانتهيا من تناول الطعام الفاخر ، ورفضت ليزا ضاحكة أن تتناول الحلوى ، لأنها قد امتلأت واسترخى براد في المقعد وتأملها وقال :

[على الأقل تبدين الآن أكثر سعادة عما كنت حينما فتحت لي الباب . هل أستطيع أن أرجع الفضل في ذلك التغيير لرفقتي ؟]

عضت ليزا شفتيها وتشاغلته بالنظر إلى فنجان القهوة أمامها ثم سألت :

[هل كان الأمر ملحوظا ؟]

أطلقت العنان لدموعها كما المرأة دائما وتأملها لحظة في صمت قبل أن يستطرد : [كنتي على استعداد لأن تستقبل بكاءك إذا رغبت بذلك يا ليزا .. ومهما كانت همومك فإن الإفضاء بها يخفف عنك]

[لا أستطيع . لن يكون ذلك عدلا]

[بالنسبة لك . أم بالنسبة لي ؟ إذا كنت المقصود فأنسي ذلك وكما قلت لك أنا أحب أن أساعدك إذا استطعت]

[لماذا ؟ لماذا تريد أن تساعدني ؟]

ورفعت عينيها إلى عينية متمدة . وحرك كتفيه العريضتين وقال :

[يمكن إرجاع ذلك إلى الإحساس الشخصي أن لكل شخص مشاكله باليزا] .

وشردت ليزا بأفكارها لكن مشكلتها مختلفة . وساد صمت بينهما ثم قالت : [وعدتني بأن تخبرني كل شيء عنك]

وتقبل تغيير الموضوع بلا اعتراض وقال :

[وعدتكم بالفعل ، حسنا ولأبدأ بالإجابة عن سؤالك السابق . كلا ، أنني لا أعيش في لندن أنني هنا للعمل من يوركشاير . من المنطقة المعروفة بالوديان صاحت بدعشة :

[الوديان ، تصورت دائما أن وديان يوركشاير عبارة عن مستنقعات]

[ذلك شأن بعض أجزائها لكننا متحضرون للغاية . من الواضح أنك لم تتوغل شيئا . أين كنت تعيشين قبل مجيئك إلى لندن ؟]

[في أوكسفورد] . ونظرت إليه واستمرت تقول :

٢ - العرض !

وصل براد في الساعة المحددة وتمنت ليزا وهي تفتح له الباب أن يكون نورها قد زال بفضل أدوات الزينة التي استعملتها بعناية بالغة . واستقرت عيناه في إعجاب على كتفيها المرمرتين وقد أحاطت بهما فتحة الثوب الأسود العميقة الأسع لم تحوّل بصره إلى الغرفة

[إنه مكان صغير لطيف . أخوك في الخارج ليس كذلك ؟]

[نعم لحظة واحدة لأحضر حاجاتي]

قال براد وهو يساعدها على ارتداء معطفها :

[من الغريب أننا حتى الأمس لا نعرف أحدا الآخر]

ثم أضاف هامسا وهو يعدل وضع باقة المعطف :

[إنني مسرور باليزا لأنك قررت زيارة ورال اليوم بالذات دون بقية الأيام]

وتحركت بركة مبتعدة عنه منشغلة بإغلاق أزرار المعطف وعندما نظرت إليه كان يتأملها مبسما وهذا في البذلة الداكنة مختلفا بعض الشيء عن الرجل الذي التقت به عصر هذا اليوم . كان أطول قامته ، ورجلا حتى أكبر سنا . وفجأة وبلا سبب تمتعت لو كانت اختلقت عذرا لعدم أخيه عندما كانت الفرصة متاحة فقد كان في هذا الرجل شيء ما يضيقها ويجعلها تحس بأن هذا اللقاء دبره القدر .

قالت : [هل أنت من لندن ؟]

تسعت ابتسامته وقال :

[إنه دورك في الاستجواب ، ليس كذلك ؟ سأخبرك .. نتناول العشاء أولا

وبعد ذلك أخبرك كل شيء عن نفسي]

وذهبا إلى أحد مطاعم بيكاديلي ، لم تكن ليزا قد دخلته ، أما براد فقد

[كنا نتحدث عنك أنت]

ورمقها بنظرة ثم قال : [هذا صحيح . دعينا نكمل أنني أعيش في البردال بالقرب من مكان يدعى سكينتون . وأبلغ من العمر أربعة وثلاثين عاما . وعلمي هو مهندس معماري . وما أخبرني به عصر اليوم أجد أن هناك شيئا مشتركا بيننا . ما هو عملك بالضبط ؟]

[إنني أعمل خطاطة] . ورمقته باهتمام جديد واستطردت قائلة :

[كنت أهدف إلى أن أصبح مهندسة معمارية]

[وما الذي غير فكرك ؟]

[الظروف . أكملت من دراستي عاما واحدا ، والعمل الذي أقوم به الآن هو أقرب شيء ممكن إلى أمني الحقيقي]

وبالصراحة التي بدأت تتوقعها منه سأله :

[وما هي الظروف التي خطمت خططك ؟] وفتحة وجدت نفسها تسرد

عليه قصة حياتها وأصغى إليها في اهتمام لم قال (وهكذا جئت إلى لندن

ووجدت لنفسك عملا واستمررت في رعاية أخيك ماذا يعمل بالضبط ؟]

وكانت ليزا خلال نصف الساعة الأخيرة قد حاولت أن تسمى المشاكل التي

تعصف بها لكن المخاوف تثقل على قلبها . برغم من ذلك أجابت في هدوء :

[مملكت الدفاتر ..]

ورسفت ماتبقى في فئجان القهوة وفاتت عليها رؤية مائرا عليه من ضيق

مفاجيء ثم قالت :

[عندي إحساس با براد بأنك لا تريد أن نتحدث عن نفسك أنك بارع في

تغيير الحديث . يبدو أننا لم نتحدث منذ التقينا الا عن نفسي]

[لا أستطيع أن أفكر في موضوع أفضل في أية حال ، مالمدي تريد أن

تعرفني عني ؟]

[مثلا . كيف تعرفت بالزوجين مارتنينالك ؟]

[كانا يعيشان في البردال ، كانا من جيرانا لكنهما سافرا منذ ثلاث

سنوات إلى أميركا واشترى وال عندما عادا إلى الوطن منذ بضعة شهور]

[إنه بيت بديع]

[لقد كان كذلك في يوم ومستعيد روعته حين الانتهاء من عمليات

الترميم والزخرفة . أعجبت كثيرا بكمية العمل التي انجزت في المكان حتى

الآن . وكما قال والتر فان عملية الترميم قاسية ماديا ومعنويا . لايمكن ترميم

جزء وترك الباقي . حاولت ذلك بنفسي ولم أنجح]

وتضاعفت اهتمامها وسألت : [هل تعيش أنت أيضا في بيت قديم ؟]

قال : [بيت تورنوتن في فارلي عمره أكثر من خمسمائة عام]

[قديم إلى هذا الحد ؟ أرجوك حدثني عنه]

وابتسم من جديد وهز كتفيه وقال [لست بارعا في رسم الصور بالكلمات

مالمدي يمكن أن أقوله عنه ؟ أنه الطراز التقليدي لمباني العصور الوسطى بيت

على مستوى رفيع من بداية القرن الخامس عشر . لماذا تضحكين ؟]

[تبدو كمترشد سياحي في جولة]

[تمررت على ذلك كثيرا . نفتح أبوابنا للناس خلال عطلات نهاية

الأسبوع الصيفية ، ربما تكتبين عنا في يوم ما تحقيا]

[أشك في ذلك لأعتقد أنني سأجد نفسي في ذلك الجزء من البلد]

[أن للقدر طريقة في تدبير الأمور]

واستقلا السيارة في طريق العودة . لقد مرت الأمسية بسرعة شديدة استطاع

براد أن يتزعمها من الدوامة التي تعيش فيها وأن ينسيها أمر ريك لفترة كانت

حجب أن تعرفه أكثر من ذلك ، لكنه اذا كان في لندن لسبب معين فمن

المشكوك فيه أن تتاج لها هذه الفرصة . وسأل براد عندما وقف بالسيارة أمام

المبنى حيث شقتها :

[هل تعتقد أن أخاك عاد ؟]

والقت ليزا نظرة على ساعتها وردت : [أشك في ذلك]

وأوقف محرك السيارة وتزع المفتاح وقال :

[اذن فسأوصلك حتى باب الشقة]

وأدار رأسه ولمح تعبير وجهها وابتسم مستطردا :

[حتى الباب فقط يا ليزا ليس لدي هدف أبعد من ذلك . أعدك]

وأمسك بذراعها وهما يصعدان السلم . كانت لمسة يده رقيقة و دافئة .

وحينما وصلا إلى الشقة انطلقت كالعادة تبحث في حقيبتها عن المفتاح ،

وتأملها في شيء من الاستمتاع وقال :

[علماء النفس يقولون انه تمكن معرفة الشخصية من الأشياء التي يحملها

أحب أن أرى شخصا يخرجك من كل تلك الأشياء الكثيرة] وأخذ منها

الفتاح. وفتح الباب. وفي الوقت نفسه فتح الباب الداخلي فجاء، ووقف ريك على عتبة وحملت ليزا فيه بدهشة وقالت: [ريك متى عدت؟]
رد بظلمة:

[منذ ساعات. لم أكن أعرف أنك كنت تفكرين في الخروج.]

[لم تنح لي الفرصة لإخبارك.]

وأحست فجأة بأنها لن تحصل البقاء معه بمفردها، والدخول لثانية في المجاذلات القديمة، وسماح الردود نفسها والتفت نحو براد وقالت:

[هل تحب أن تدخل لتشرب القهوة؟]

[نعم. أرغب في ذلك.]

وجعلت ليزا معطفها في غرفة الجلوس، وغرقت في اتجاه الباب المؤدي إلى المطبخ الصغير. قائلة: [سأعد القهوة.]

لكن ريك استوقفها قائلاً:

[اليس في نيتك أن تقدميني إلى صديقك؟]

واستدارت محققة الوجه وقالت:

[بالطبع أنا أسفة. براد. هذا هو أخي ريك. ريك هذا هو براد. لي لورون. اجلس يا براد. لن ألتأخر في إحضار القهوة.]

وكانت حركاتها في المطبخ آلية. أما اهتمامها فكان مركّزاً على مهمة الأصوات المنيعة من الغرفة. ولم تستطع أن تبين الكلمات بوضوح، لكن كان واضحاً أن الرجلين وجدا الكثير من الكلام المتبادل.

وعندما عادت، بدا جلياً أن النقاش انتهى. كان ريك جالساً في جوار المدفأة وظهروه لها. وكان براد جالساً في الأريكة المقابلة.

وتناول فتجان منها دون أن يتكلم. وكان واضحاً أن شيئاً ما أزعجه. واستبد

بها أحساس قوي بأن براد فهم أكثر مما كانت تعتقد من القليل الذي مرته

عليه هذه الأمسية عن مشاكلها. وأن عرضه للمساعدة عليها لم يأت من فراغ.

وقالت لنفسها أنه ليس من حق أن يحاول اكتشاف أكثر مما كانت تقضي أن

يعرفه. وتفتت الصعداء عندما رفض براد فتجاناً ثانياً، وأعرب عن رغبته في

الانصراف ولم يرد ريك على تحيته ورافقه ليزا إلى الباب وهي تحبس بالخبيل

من تصرف أخيها، وسألها براد حينها وقفاً على رأس السلم:

[نلتقي مساء الغد. هل تحبين المسرح؟]

وترددت. أحست بالتمزق بين رغبته في أن تراء ثانية وذلك الشعور الذي يساورها بأنها يجب ألا تستمتع بمباحج الحياة في وقت يقف ريك على حافة كارثة. ومع ذلك إذا بقيت في البيت فما الذي يمكن أن تفعله؟ إن المساعدة التي تنتظرها لن تأتي إذا لم تتحرك. وبرقت هذه الفكرة فجأة في ذهنها. المساعدة التي يحتاجان إليها ربما كانت تقف هنا أمامها. وذهرت في الحال هل كانت تنوي أن تطلب قرضاً من رجل لم تعرفه إلا منذ ساعات ربما كان يريد أن يساعدها ولكن خمسمائة جنيه كانت مبلغاً كبيراً ومن الصعب أن تتصور أحداً يمكن أن يقدم لشخص لا يكاد يعرف عنه شيئاً، ولا يملك ما يقرضه ضماناً. وأفاقت من شرودها على صوته:

[ليزا هل سمعت ما قلت؟]

[نعم بروفتي أن أذهب إلى المسرح معك]

وانفجرت أساريره بالترسامة وقال:

[إذن سأتابع تذكرتين وسأمر عليك في الساعة. طابت ليلتك يا ليزا]

وظلت تراقبه حتى اختفى ثم دخلت الشقة وأغلقت الباب ورفقها ريك شخصاً البرق في عينيها والاهتمام على شفتيها وقال:

[ستقابلينه ثانية. من يكون؟]

[مهندس معماري من بوركشاير، قابلته عصر اليوم في قصر ووال]

[لم يضع وقته، أليس كذلك؟ ما الذي أخبرته عني بالضبط؟]

واستدارت لتلفت إليه وقالت:

[لاشيء لماذا؟ ماذا قال لك بينما كنت في المطبخ؟]

[صديقك هذا لا يضيع وقته في الكلمات. جلس هناك ونظر إلي مباشرة، وقال أنه متأكد أنني وراء متاعبك. اظن أنني كبير بما فيه الكفاية لأن أحصل

مشاكلي وحدي]

وتساءلت ليزا ما الذي قاله بالضبط لبراد عن أخيها، الشيء القليل، لا بد

أنه شعر بما تعانيه من الإحساس بالذنب لأنها نفسها أسهمت في إضعاف

شخصية ريك وسألت أخيراً: [ماذا قلت له؟]

[طابت منه أن يعتني بشؤونك فقط وهل كان هناك رد آخر؟ ما الذي

يعطيه الحق في أن يأتي ليدرس ألفه فيما لا يعنيه؟]

وانظرت ليزا لحظة قبل أن تقول بصوتها: [عرض علي المساعدة]

NOOR

[هل فعل ذلك حقاً ؟]

وظهر تغير مفاجيء في لهجة ريك وفي سلوكه . واستمر يسأل :

[مساعدة مادية ؟]

[انه لا يعرف نوع الورطة . كيف يستطيع اذن أن يحدد نوع المساعدة ؟]

وفي أي حال أنا لا نستطيع أن نقبل من غريب هذا النوع من المساعدات [

[تكلمي عن نفسك إني على استعداد لأن أقبل المساعدة من إبليس نفسه

لو كان من شأن ذلك إنقاذي من هذا المأرق ، تعرفين من الواضح انه لطيف

معك . ألا يمكن أن تخطلي منه ذلك ؟]

[كلا بالتأكيد لا أستطيع . إني لا أكاد أعرف الرجل]

ورفعت الضئيلة وبدأت تتجه نحو الملبغ .

[حتى لو كان ذلك من أجل أن تحمي أخاك الصغير من دخول السجن ؟]

واستدار ببطء لتتطرق اليه وقالت :

[أعتقد يا ريك أن السجن سيفيدك .]

ثم خرجت بسرعة من الغرفة . لكنها عندما أوتت إلى الفراش ، أدرت أنها

لن تستطيع أن تقف مكتوفة ، وأن تدع ريك يدخل السجن . لابد من عمل

شيء ما ، لابد من قهر كبريائها ومحاولة الحصول على قرض من براد نورتون .

لن تدع هذه الفرصة تفلت منها .

ولكن كيف السبيل إلى طلب مثل هذه المساعدة من رجل لا تربطها به

معرفة وثيقة ؟ كيف تستطيع أن تذهب اليه وتقول براد : أريد منك أن تقرضني

خمسمائة جنيه ، ولكنني لا أستطيع أن أخبرك عن السبب لأنه قد يورطك في

شبهة إخفاء جريمة ، ولا أعرف متى يستطيع رد المبلغ اليك . إنه حتما

سيضحك منها مستخفاً . وظلت مؤرقة لفترة طويلة محاولة أن تجد حلاً آخر ،

لكن جون جدوى . أصبح براد الأمل الوحيد الآن . واليأس قد يسحق أموراً كثيرة

من بينها الكبرياء والكرامة .

لكنها فقدت الكثير من حماسها لهذا القرار وهي جالسة بجانبه في المسرح

مساء اليوم التالي . ولم تلفت إلى المشاهد التمثيلية التي كانت تدور أمامها ،

لكنها كانت شديدة الاحساس بوجود الرجل الجالس بجانبها وبأنه كان بين

الحين والآخر يدير رأسه نحوها ، ويضعها . ربما يكون شعر بقلتها ، وفي بداية

الفصل الثاني من المسرحية ، أمسك بيدها بطريقة طبيعية وكأنه صديق قديم .

وتركت أصابعها لتلتصق بأصابعه . كانت يده دافئة وجافة ، وأحسبت بتلاخق

خفقات قلبها . والغريب أن هذه الحقيقة جعلت مهمتها أصعب .

وحينما عادا ثالية إلى السيارة بعد انتهاء العرض قال براد :

[إنها ليلة رائعة هل أنت مضطرة للعودة إلى البيت أم تفضلين نزهة ؟ إني

في حاجة إلى سعة هواء]

ورافقت ليزا في تردد فهي كانت تريد أن تطيل البقاء معه أكثر وقت ممكن

لكنها كانت تنوي أن تأخذ ما تفكر في طلبه منه ، ازداد الأمر صعوبة بالنسبة

ليها . لقد كانت تنوي أن تنتظر حتى يعود بها إلى البيت قبل أن تسأله ما إذا

كان جاداً في مساعدتها . كانت الليلة بالفعل رائعة دافئة ومغالية من الغيوم .

وفركا السيارة في أحد الشوارع الجانبية وراء حدائق فيكتوريا ، وسارا في اتجاه

جنس واترلو - وأدار براد وجهه وسط الضباب المنبعث من النهر ، وقال :

[أردت دائماً أن هذا واحد من أفضل الأماكن في مدينتك مثل هذا النهر

الكبير يمكن أن يمنع الحياة الكثير من الشعة . ولكنكم سكان لندن لا تعطونه

مثل هذه الأهمية .]

[أعتقد أنك على حق . كم من الوقت ستمضي في لندن يا براد ؟]

[كان المفروض أن أعود اليوم . هل يمكن أن تعرفي لماذا مازلت هنا ؟]

ومرة أخرى تلاخقت خفقات قلبها وردت بصوت خافت : [كلا .]

[أيتها الكاذبة الصغيرة . حسناً ، إذا كنت تريدان الأمر بوضوح ، فقد بقيت

لأنني التقيتك ولأنه كان علي أن أراك ثانية .]

وتوقف عن السير فجأة ، وأمسك بذراعها . وجذبها لتواجهه . متسائلاً :

[هل يدعشك ذلك ؟]

ردت هذه المرة بصدق لأن عينيها الرماديتين حاصرتا عينيها :

[كلا أوضحت بصرفائك أنك تجذلي جذابة .]

وضحكت لتعليقها وداعب برقة وجنتيها . وقال :

[أنت التواضع نفسه أنني أجد الكثيرات جذابات ، لكنها المرة الأولى أخير

فيه تخطي من أجل واحد .]

اكتشفت ليزا أنه يجيد فن المغازلة . وساءلت عن خطوته التالية وهي تحاول

أن تتجاهل الألم العميق في أعماقها . وتأمل وجهها وسأل :

[ألا تصدقيني ؟ هل تشكين في تصرفاتي ؟ ما الذي يمكن أن أفعله

لا تقابلني بأني جاد؟

رأت أن فرصتها حالت وجف حلقها، وتراكضت خفقات قلبها، ويرطم ذلك بدب متضامكة عندما قالت يهدوء:

[استطيع أن تثبت ذلك؟]

[كيف؟]

وتنفست في عمق وقالت:

[بأقراص جسمي جنية.]

استطاع أن يسيطر على انفعالاته فلم تقهر تعبيره، ولكن شيئا جديدا بدا في عينيه وهو يحدق في عينيها، وقال:

[أتحرك ليس كذلك أنه في ورطة ماء.]

[نعم.]

[ما نوع الورطة؟]

[لا أستطيع أخبرك.]

وفاجئت عنه برجعتها، وانكأث على السور بذراعيها، وحصلت في مياه النهار وقد استبد بها الأحساس بالخجل والضييق وفجأة قالت:

[أني ذلك يا براد أليس تماما ما قلته.]

وانبعث صوته هادئا للغاية: [ما هي مهلة؟]

وابتلعت ريقها بأنهم وأجاب: [سبعة أيام.]

[يا للفرابة!]

[ما وجه الفرابة؟]

[لا يهم مجرد فكرة عابرة.]

وسكت لحظة ثم قال:

[مباقرض ربك التقود يا ليزا، لكن هناك ما أريده، في مقابل ذلك.]

تطلعت نحوه، وسألت في هدوء:

[ما الذي تريده يا براد؟]

وكان جوابه مبهما:

[أريد أن أتزوجك.]

٣ - الزواج

قالت ليزا مشدوطة:

[أهي طريقتك في المزاج؟]

[الرجال الذين يعرضون الزواج مازحين غالبا ما يكتشفون أن الدعابة انقلبت عليهم وليست هذه بالتأكيد عادتي.]

وأحسنت بأنها مضغضة وعصمت:

[لكن لا يمكن أن تقصد ذلك، أنا لم تلتقي إلا منذ أكثر من أربع وعشرين ساعة بقليل.]

[لا أهمية للفترة الزمنية، ولا يمكن أن أكون أول رجل اكتشف مدى جذابيتك.]

[ربما لا لكنهم لم يعتبروا طلب الزواج مقدمة ضرورية لإقامة علاقة.]

[هذا تعليق لأذع السطرية، ربما يكون من الضروري أن أعيد صياغة طلبتي.]

وكانت ليزا لا تزال عاجزة عن التصديق. فسألت:

[هل تحاول أن تقول أنك متيم في حيي؟]

ولمح برقي في العينين الرماديين، وقال:

[هل يمكنك اقتراح سبب آخر لرغبتى في الزواج منك؟]

[قد تكون مدفوعا بالشفقة علي.]

وعادت الابتسامة إلى شفثيه وقال:

[الشفقة قلما تكون دافعا للزواج وفي أي حال، فلست ذلك الرجل

الحسن.]

ووقف متكئا على سور الجسر، ونظرت إليه ليزا داخلة، ثم قالت:

NOOR

[لا أجزى تماما ماذا أقول]

[حاولي أن تقولي نعم ، أنها أسهل من لا والطف كثيرا]

وامسك يديها فجأة ، وجذبها نحوه قائلا :

[الأفعال أحيانا يمكن أن تقول للمرأة ما تعجز عنه الكلمات]

[إذا قلت لا هل ستقضى النفود ؟]

ومرت لحظة صمت عاطفة قبل أن يهر رأسه قائلا :

[كلا.. لن افعل . أنتي أريدك يا ليزا ، وأود الحصول عليك . وإذا كانت

مساعدة أخيك على الخروج من ورطته تخدم هدفى فستفعل ذلك وأكون

سعيدا]

وحدثت فيه هائسة ، وقالت :

[هل أنت متعجبر القلب على ذلك النحو عندما تكون راغبا في شيء ؟]

[نعم حينما أكون شديد الرغبة فيه]

[ولا فارق في الأمر إذا لم أكن أبدا لك الحب ؟]

[لا فارق في الأمر إذا لم تكوني تبادليني الحب الآن . لكن الحب يسمو يا

ليزا ، إن بيننا قسرا مشتركا ، وقد أخبرني أنك لست نافرة مني كرجل . هل

هناك دليل أفضل من ذلك ؟]

وشردت بأفكارها : خلال الأعوام الأخيرة كانت محرومة من الحب والأمان

وكانت في حاجة ماسة إليهما ويبدو أن براد على استعداد لأن يمنحها إياهما

إن تكون مجنونة إذا رفضت كل ما عرض عليها فجرد أنه من الأفضل أن

تحب الرجل قبل أن تزوجه ؟ ثم هناك ريك هل تستطيع أن تخبره فرصة

التخلص من أزمته ؟ هل تستطيع أن تقف مكتوفة وهي تراه في الطريق إلى

السجن ، في حين أنها تملك مفتاح الحل ؟ لكن الشكوك ماورتها . ما

الذي تعرفه عن الرجل الذي كان يقف صامتا في انتظار جوابها ؟ ما الذي

تعرفه عن الماضي عن ظروفه وحتى عن شخصيته باستثناء ما لمسته من تحجر

قلبه ، الأمر الذي أثار مخاوفها بعض الشيء ؟ وسألت :

[هل أطمع في مهلة قصيرة ؟]

[مهلة لماذا ، لو كان في نيتك أن تقولي لا قوليه الآن]

وشاءت ليزا هل تستطيع حقا أن ترفض ؟ وشعرت بدوار ، كيف يتصرف

الإنسان في مثل هذا الموقف ؟ وقطع براد الصمت قائلا :

[فكري في الأمر وأنت نائمة تعالي سأوصلك إلى البيت]

ولهنما الصمت أثناء عودتهما إلى لاميث ، ونفست ليزا الصعداء عندما

رفض دعوتها إلى تناول القهوة وقال :

[سأمر عليك غدا في الموعد نفسه لأعرف الجواب . أليس كذلك يا ليزا ؟]

كانت الشقة تسبح في الظلام وأضاءت ليزا النور ورأت طرفا أبيض مستدا

على الساعة . وانجذبت ناحية المدفأة وأخذته ، وأخرجت منه الورقة المفردة

وشحب وجهها وهي تقرأ : ليزا قدم مراقبو الحسابات موعد حضورهم إلى

اليوم الجمعة لا تسهري في انتظار عودتي

ولم تكن ليزا تستطيع أن تحدد كم من الوقت وقفت تحمق في الورقة .

كانت الأفكار تتصارع في رأسها . أفكار بائسة مشوشة ثم تلت واحدة منها

أن يزغت في وضوح : الآن لم يعد أمامها خيار . وانجذبت نحو الهاتف

وبحثت في الدليل عن رقم فندق براد وطلبت قبل أن تنبه إلى أنه ربما لا يكون

قد وصل بعد لكن عامل الاستقبال أوصلتها بغرفته على الفور :

[مرحبا ليزا ، ماذا حدث ؟]

قالت وقد أسعفتها إرادتها بالسيطرة التي كانت تحتاج إليها :

[فكرت يا براد سأزوجك]

[هناك أمور لا بد من مناقشتها سأتي اليك حالا]

[الآن ؟ لكن الليل على وشك أن ينتصف]

لم يسمع اعتراضها إذ كان قد وضع السماعة . ووصل بعد عشر دقائق

أغلقت الباب واستدارت لتواجهه وقد تحفرت للدفاع عن نفسها . أما هو

فقال دون مقدمات :

[لا بد أن شيئا ما أرغبتك على اتخاذ القرار المفاجيء الذي كنت تتبرهن

منه]

ونظر إليها في ايمان واستطرد قائلا :

[أين ريك ؟]

[في الخارج]

ناولته الرسالة مستطردة وقد بدا عليها الإرهاق :

[هذا سيشرح لك الأمر]

وقرأ بسرعة وعندما نظر إليها ثانية كان وجهه خاليا من التعبير وقال :

NOOR

[كان رد فطاك الفوري هو الاتصال بي والمرافقة علي عرضي ؟]
وكان في صوته شيء ما لم تستطع أن تفهمه ووجدت نفسها تسأل بصوت
مرجف :

[ألم يكن ذلك ما أردت ؟ أنت جعلت الزواج شرطاً لأعطائي المال ؟]

ونفخض وجهها ولاحظ شحوبها وقال :

[هذا ما فعلته كانت مغامرة من جانبي لكنني محتاج اليك الى أقصى حد
يا ليزا]

وبدأ اليها يديه قائلاً : [تعالي]

ودفعت اليه مسئلة الازالة ووضعت يديها في يديه بحثا عن الطمأنينة التي
كانت في أشد الحاجة اليها ، وأحست وهي بين ذراعيه أنه من العسير عليها
أن تركز في غير هذه اللحظة وقالت وهي تبعد عنه :

[سأبعد القهوة]

[سأساعدك]

ولم تفكلم لأنها لم تكن تعرف ماذا تقول ، كانت لا تزال تحس بأن وجوده
مقروض عليها ، كان في تصرفاته من الرقة مثلما كان فيها من العنف
وأدركت أن مثل هذا الرجل لن يكون من العسير الوقوع في حبه ، وحصل
عنها الصبيبة واجه بها الى غرفة الجلوس ووضعها ، ثم نظر اليها باهتمام لم
يستطع أن يتجاوزها ، وقال :

[أنتي مؤهل للحياة العائلية كما تترين]

وانقسمت بدورها واستطرد قائلاً :

[هذا أفضل لن نلث أن نتبادل الدعايات ، الأمر لن يكون بالصعوبة كما
كان في البداية]

وفكرت هي في ذلك ، كلا ، لن يكون الأمر صعباً لقد بدأ جمودها يذوب
بفعل الدفء في عينيه وفي صوته وقالت :

[حدث كل شيء بسرعة ، مازلت لا أستطيع التأقلم مع الأمر كما ينبغي ؟]

[إذن لا تحاولي ، اهدئي فقط واستعدي للأني]

وسكنت لحظة ثم استطرد قائلاً :

[ليس هناك شيء يا ليزا يحول دون زواجنا فوراً ، أستطيع إنهاء كل
الترتيبات في الصباح ، ويمكننا الزواج يوم السبت والذهاب رأساً الى قارلي

عقب إنتهاء المراسم]

[بهذا السرعة ولكن ماذا عن ريك ؟]

[ماذا عن ريك ؟ إنه في الحادية والعشرين وهذا يؤهله تماماً للعناية بنفسه
ربما جعله ذلك يكتب الشعور يحصل المسؤلية ، وفي أي حال فلا أعتقد
أن ريك يمكن أن يستقر في نورث ، إنه حتماً سيشتد بالملل قبل مضي
أسبوع]

كانت تعرف أنه على حق ، فحتى لو دعا ريك وهو ما كانت تشك فيه ،
فإنه لن يوافق أبداً على الذهاب معها الى نورثشاير ، انه يحب لندن ، يحب
صخب المدينة الكبيرة ، أما بالنسبة للميسر فربما علمته هذه الأزمة درساً ،
على الأقل لن يتخاطر ثانية بالإستدانة من أصحاب العمل ، وسألت فجأة :

[ماذا ستقول والدتك في هذا الزواج السريع ؟]

[سيكون أسعد يوم في حياتها عندما أصطحبك معي الى البيت ، لقد
فعلت دائماً أن تكون لها ابنة]

[كيف تبدو ! هل تشبهها ؟]

[كلا لا أشبهها على الإطلاق أنها ضحلة وشريرة ولطيفة للغاية ،]

وتغير تعبيره بعض الشيء ، واستأنف قائلاً :

[أنها أيضاً تعاني من مرض في القلب يمكن أن يفضي عليها في أي
وقت ، وهذا هو أحد أسباب رغبتي في الزواج بسرعة ،]

[إنني أسفة يا براد ، هل تعرف أنها مريضة ؟]

[نعم أنها تعرف ، أنها مريضة منذ سنوات ، وكان علينا دائماً أن نكون
شديدي الحرس حتى نخففها الصدمات والأحزان أي كان نوعها]

وسكنت ثم أضاف :

[ربما كان علي أن أخبرك بكل ذلك قبل أن أطلب الزواج منك ، ربما
شعرت أنني أطلبك بالكثير]

[أنا لأظن ذلك بالطبع ، ويسعدني أن ذكرياتي عن أمي قليلة للغاية]

وكانت تهم بصب القهوة عندما انتهى اليهما صوت مفتاح يدور في القفل
وبعد لحظة دخل ريك ، ووقف عندما رأى براد وقال :

[إذن فكلك سيارتك في الخارج ؟]

ونظر في اتجاه أخيه وقال :

NOOR

[هل بقي شيء من القهوة؟]

وتنهضت في حين انطلق براد بهشاشة:

[أثنى متأكد من أن ريك لن يصب أن هو احضر فنجان به نفسه]

واحتفن وجه ريك وعبر ليخفي الحقيقة. وسأل متهمكها:

[ألا ترى أنك تدخل... أكثر من اللازم؟]

وخركت ليزا في اتجاهه قائلة:

[ريك إنك لا تفهم إننا... أقصد أنا وبراد...]

وتخرج صوتها كيف يمكن أن تطلعه على هذه الحاجة؟

ودخل براد قائلا بهدوء:

[سأنتولي الأمر، إن ما تحاول ليزا أن يقوله هو أننا سنزوجه. ألا توافقني إذن

على أن ذلك يعطيني بعض الحق في هذا البيت؟]

[تتزوجان؟ هل أنت مجنونة يا ليزا أم أنه هو المجنون؟]

[هذه هي الحقيقة يا ريك.]

وظل لحظات يحمل في أحته قاهلا، لم بدأت تعابيره تغير تدريجيا وعاد

يكور تزوجان بلهجة مختلفة هذه المرة، واستمر يقول:

[حسنا إذن أعتقد بأن التهيئة واجبة. متى سيكون اليوم السعيد؟]

[قريبا بما فيه الكفاية لانقاذك وتستطيع أن تكف عن قلقك من أن

تفصلك تصرفاتك فيكون أول شيء أفعله في الصباح هو أعطائك الخمسمائة

جنيه.]

[شكرا، ستمرد المبلغ بالطبع.]

[اعتبره هدية أثنى لأعرف سبب حاجتك إليه ولا أريد أن أعرف، ولكن

تأكد من أن ما حدث لن يحدث ثانية، فليست أقوى اتفاق ما تبقى من حياتي

في نمون طموحك إلى الحياة المرفهة]

[شكرا مرة أخرى أيها الأخ الكبير]

وكانت لهجة ريك مزيجا من الامتعاض والعرفان، ورمق أحته بنظرة خفيفة

وقال: [أتمنى أن تكونا سعيدين]

وتنهض براد واقفا وهو يقول:

[سيكون سعيدين، والآن يا ليزا من الأفضل أن أتصرف.]

وأمسك بذراعها عندما وصلا إلى الباب، ودفعها خارجا، وسحب خلعهما.

سأل: [هل انت غاضبة مني؟]

[كيف يمكن أن اغضب بعد ما فعلته؟ لم تكن مضطرا أن تعطي ريك

مبلغ هدية كان يجب أن يرده.]

[غالبا كان ما يدفعه ذلك إلى المزيد من التورط. كلا أفضل هذه الطريقة.

سراك مساء الغد سيكون يوما مشحونا.]

واصمت عيناها وهي تقول:

[براد لا أستطيع أن أتزوجك يوم السبت، على الأقل لا أستطيع أن أذهب

عك إلى يوركشاير لأنني مضطرة إلى ابلاغ المؤسسة التي اعمل فيها برغبتني

من ترك العمل قبل ذلك بشهر.]

[سأحضر عصر الغد إلى المكتب وأرغب لك الأمر بحيث تتركين العمل

مساء وحيتشد تستطيع أن تقضي اليومين التاليين معا، ما رأيك؟]

قام تشك لحظة في أنه يستطيع ترتيب الأمور على النحو الذي ذكر، لأن لا

شيء مستحيل بالنسبة لرجل مثل برادلي نورتون. وأصحت لذلك بالاضطراب

الصيد ولمع هو مخاوفها، فلانث نظراته وقال:

[أنت متممة ستبدو الأشياء مختلفة في الصباح]

وعصر قبل أن يتصرف:

[بقي بي يا ليزا.]

كان ريك واقفا قرب المدفأة عندما عادت إلى الغرفة. كانت في عينيه نظرة

عجب وهو يراقبها وقال بلطف:

[إن سمكة رائحة تلك التي اصطدتها وأحضرتها إلى هنا. أن الشخص

شعر على منحك خمسمائة جنيه لا بد وأن يكون لريا.]

[كلف عن هذا الكلام، أثنى لن أتزوج براد بسبب رصيده في البنك.]

[وهو بالتأكيد لن يتزوج لنفسه، هل المقروض أن أصدق أنه كان

سما من النظرة الأولى؟]

[هذا يحدث]

[بالنسبة اليك نعم، لكن برادلي نوعه مختلف، أنه واحد من الذين يحسبون

كل خطوة حسابها قبل اتخاذ أي قرار ولا يمكن أن يكون قد عرف عكك

شعر خلال هذه المدة القصيرة. وسكت برهة ثم قال:

[ماذا تعرفين عنه؟]

لم يكن هناك في الحقيقة وقت للشعور بأي شيء ، ثم كل شيء بأقصى

اعلم ، أعتقد أن الأمر كان كذلك ، وصنعت لحظة لم قال يهدوء .

هل أنت نائمة على أنه لم يكن حفل الزفاف الذي تخلم به النساء .

الأمير الأبيض والطرحاة الطويلة ووصفات الشرب .

كلا ليست هذه هي الأشياء المهمة ، وأعتقد أن الأمهات هن اللواتي

يحسن بهذه الأشياء التي تفرحهن .

في مناسبة الحديث عن الأغرب كان أخوك هذا الصباح حزينا . هل

أنت على نفس ذلك بأنه أدرك كم ستكون الحياة من دونك أكثر صعوبة ؟

تذكرت ليلا الليلة السابقة عندما جاء أخوها إلى غرفتها بعد أن أوتت إلى

والها وطلب منها أن تسمى ما قاله لها منذ ثلاث ليال ، واعتذر بأنه كان

حزينا بعض الشيء ، وبأنه لم يكن يدري ما يقول ، وخطر في بالها حينئذ أنه

كلم على ذلك طمعا في ما يمكن أن يحققه له زوجها في المستقبل من

حساب رزق يمكن الاعتماد عليه ، لكنها قاومت الفكرة وقبلت الاعتذار .

تذكرت ليلا مدافعة .

أن ريك ليس في الحقيقة سيئا ، لكنه سهل الاقبياد وليست هذه جريمة

جد ذاتها .

بعضتي فيك اخلاصك يا ليلا . لكن تذكرتي أنني الآن زوجك ولست

حاجة إلى اهتمام أي شيء عني ، لم تكن هذه المرة الأولى التي يقع فيها

ك في ورطة وفي الغالب أنها لن تكون الأخيرة . انه يريد حياة سهلة دون

سعة إلى الكفاح . ومن الأفضل أن تساعدي بمواجهة حقيقة أنه لن يتغير ،

لكنني عن التفكير فيه .

انه مازال أحبي .

يعني لديك أكثر مما أعني ؟ ربما انقلب الوضع بسرعة الوقت .

وفكرت ليلا في ذلك وهي تجلس نحوه نظرة فالأيام الثلاثة الماضية احدثت

في علاقتهما تحولا كبيرا ، لقد كان عند كلمته قريب الأمر مع صاحب

عمل بحيث استطاعت ان تترك العمل مساء الأربعاء ، يرغم أنها لا تدري

كيف استطاع ان يصل معهم إلى هذا الاتفاق ، ثم كرس كل وقته لإسعاده

فقد زارا معا عدة أماكن ، وفعلا أشياء لم تكن تمتلك الوقت أو المال للقيام

ولم يدعشها أنه لم يدرك الحقيقة الكاملة وراء زواجها الوثنيك فقالت في

انفعال : [ما فيه الكفاية لأن أدرك أنه كان يعني ما قاله من أنه لن يقرضني

الخمس مائة جنيه إذا لم أوافق على الزواج منه]

وترفع حاجبا ريك وتفحصها ؟ لا بد كما لو لم يكن يعرفها من قبل وقال :

[هل قصد ذلك بالفعل ؟ لا بد أنك تخفين في أعماقك ما فجع مثل هذه

العاطفة في أعماق رجل .]

وحملت فيه مشمرة وقالت :

[إلا بضايقت أنني وعدت رجلا لأحبه بالزواج ؟]

أ أنني ممن للغاية للتضحيات التي ترضين بها من اجلي ، لكنني لأعتقد

أنك خرجت من هذه المغامرة خاسرة ، فالزواج الشري هو حلم أكثر الفتيات

لا تحاولي أن أقنعني بأنك لم توافقني الأسببي . فمن جميعا تنصرفي بوحى

من مصالحتنا .]

[ريك ماذا هناك لم أعهدك هكذا لم أهد أعرفك على الإطلاق]

[انت ما عرفتنى أبدا . كنت تريد أن أتبه ، وحاولت ان تطعمني بطعامك

انت . كنت دائم موجودة يا ليلا تدفعيني وتوجهيني . هل فكرت فيما كنت

أشعر به خلال كل هذه السنين ، منذ جئت إلى لندن وأنتا تخومين حولي أدب

بالدخالة الأم ؟ يا الهي اعتقدت أنك لن تزوجي أبدا ، وتكرهيني وحيدا]

[آسفة لم أعرف أبدا أن هذا هو شعورك نحوي ، ثم استعذرت وتركته .

ثم الزواج صباح السبت في احتفال قصير بارد . أحسنت ليلا بالسرور عند

انتهائه . كانت ترتدي ثوبا ومعطفا من اللون الأزرق المفضل لديها ، مع قبعة

فيها ورود ضلراء ، وفور أتمام المراسم اتخذ انغروستن طريقهما إلى البيت في

بوركاثير . ولم يتكلم براد طوال الفترة التي كان يخرق فيها الارحام في

شوارع المدينة . ولم يشعر بالاسترخاء الا بعد أن تجاوز حدود المدينة ، وحينئذ قل

اعتمادا بالطريق والتفت إلى ليلا وسألها :

[لماذا تشعرين ؟]

[بالجوع فانا لم أكن شيئا من طعام الفطور]

[أدن فمن الأفضل أن نغف في أول مكان لناكل]

ورمقها بنظرة أخرى سريعة وقال : لم يد عليك أنك عصبية أثناء المراسم]

بها . كان كل شيء راقعا ويرايلي هو الآخر كان راقعا .

وحركت ليذا الخاتم الذهبي المتعلق بالخاتم السوليير الذي أهدها إليها منذ يومين . وأحست فجأة بالإسراع بعد نوترها صباحا . أنها لم تعد ليذا فاريل ولكن ليذا نورتون . ولم يكن هناك سبب يحول دون نجاح هذا الزواج . وتوقفا لتناول الغداء ثم استأنفا السير . واستسلمت ليذا للنوم . وعندما استيقظت أوضحت شعرها عن وجهها وهي تشعر بالدفء والنشاط .

وقال براد دون أن يرفع بصره عن الطريق الذي يمتد أمامه :

[استسلمت إلى الغفلة طويلا هل أحسست بتحسين ؟]

[نعم ، أين نحن الآن ؟]

[على بعد خمسة أميال تقريبا من البيت متصل في الخامسة والنصف]

البيت عادت الكلمة في رأسها . لكنها لم تكن تعني لها شيئا ، أنه بيت براد وليس بيتها في الوقت الحاضر على الأقل . وأثيرا سلك براد طريقا ضيقة مؤدية إلى بوابة حديدية قديمة منحدرية بزواية . وكان من الواضح أنها لم تخلق منذ سنين وبعد أن تجاوزها وصلا فجأة أمام البيت ووقفت السيارة ونزلت ليذا عندما فتح لها براد الباب . وتطلعت في شغف إلى المبني الذي كان أمامها وسألها براد :

[ما رأيك فيه ؟]

عزت رأسها قائلة :

[حلفا يمكن أن أقول ؟ إنه كل شيء تمتع وفي الحقيقة لم أتوقعه أبدا !]

استدير رأتك عندما تراقبته بالتفصيل إن قصر فارلي في حاجة إلى عدد كبير من الإصلاحات ، إذا كان عليه أن يضم أحيالا جديدة من آل نورتون . ولاحت ابتسامة على شفتيه عندما اصططبت وجنتيها بحمرة خفيفة واستطرد قائلا :

[أئذع هذه الأمور للمستقبل في الوقت الحاضر مازال أن تقابلي أمي]

وكانت الشرفة الامامية مفتوحة على الممر بطول البيت وفي نهايته باب مزدوج يؤدي إلى الصالة الرئيسية الكبرى ، مضادة من ناحية الغرب بناقتين مزيتين بالزجاج الملون . وفتح براد بابا وأدخلها إلى غرفة جلوس أنيقة الأثاث وقد غصرتها أشعة شمس المساء المبكرة ، وقال :

[إبقى هنا من فضلك يا ليذا حتى أذهب لأرى أين أمي . لا يمكن أن

تكون عبدة فيني تعرف موعد وصولنا]

تركتها وحدها . واتكأت على مقعد قريب ونظرت إلى خشب المنقف الخريف . كم عدد الأجيال من آل نورتون التي جلست في هذه الغرفة ؟ أي نوع من الناس كان هؤلاء القادمين من أجداد زوجها ؟ ما الذي يمكن أن يكون عليه أمه ؟ وفتح الباب وسمعت صوتا يقول :

[لا بد أنك ليذا]

استدارت بسرعة وفوجئت بها رأتها : فائزأة التي واجهتها لم تكن تذكرها أكثر من خمس أو ست سنوات : حسنة المظهر وكان شعرها الناحب في شتره طبعيا ، ومتهدلا وراء ظهرها ، ووجهها يبتسما راقعا . وعادت تقول لي ابتسامة عجوز عن أن تدفي جمود عينها :

[أنتي فيليسيا مور ، لم أعرف أنك وصلت حتى نظرت من النافذة ورأيت السيارة . أين براد ؟]

[ذهب يبحث عن أمه]

وارتفع الحجاب المرسوم بدقة ، وقالت المرأة الأخرى :

[إنك عروسة وحدها هنا ؟ يا له من تصرف غير لائق . إن البسما في حرفتها في الطابق الأعلى والخشى أن يكون الانتقال شديدا عليها بعض الشيء . لقد كان شيئا يشبه الصدمة بالنسبة لكل شخص حينما اتصل براد بتبوتينا وأعلن الخبر]

[أتوقع أنه كان كذلك . ونرجو فقط ألا يكون قد أصاب السيدة نورتون أي أذى]

[ظاهريا لا ، بل إن الدكتور أدامر ذهب إلى أبعد من هذا في قوله إن زواج براد كان أفضل شيء يمكن أن يحدث]

وكان في صوت فيليسيا نغمة شاذة وفي عينها بريق غريب وأضابت :

[سيكون لديها الآن ما يسعدها . فالأخفاذ بهجة حقيقية للمسنين]

وارتفع صوت براد الذي ظهر على عتبة الباب دون أن تلاحظ وجوده الموثقان ، قائلا : [أأست تفكرين في المستقبل أكثر مما ينبغي ؟]

ولاح بريق عميق في العينين اللتين كانتا لا تزالان تخملقان في ليذا واستدارت فيليسيا لتتفرأ إليه وقالت :

[إنها قائلة يا براد ، لقد أحسنت صنعنا بتفكيرك]

NOOR

وأخني رأسه قائلاً :

[أنا أعتقد ذلك أيضاً]

والتفت عيناه بعيني ليزا وقال :

[يبدو أن أمي إنفعلت أكثر من اللازم إنها غائبة الآن ولذلك فستواجه

لها عواقب]

[لكنني سأراها اليوم] ٩

[لا أرى ما يفتح ذلك ، سأخذك إليها بعد العشاء ، وحتى ذلك الحين

من الأفضل أن أشرف على نقل حقائبنا]

قالت فيليسيا بهيمنة :

[أتوقع أن تكون ليزا متلهفة الى تغيير ملابسها . تقول أمك يا براد أنه من

الأفضل أن تخصصك بالغرفة التي كانت تشغلها مع والدك . هل اصطحب ليزا

الى الطابق الأعلى ريثما تحضر الحقائب ؟]

[أجل]

كانت الغرفة التي اصطحبها إليها فيليسيا في الواجهة الامامية للبيت متسعة

للمغاية ، وكان ملحقا بها غرفة إضافية تضم خزنة كبيرة وأريكة وحماما وجاء

براد بالحقائب وأتسمت فيليسيا للعروستين وقالت :

[سأطلب من باتي أن يعد الشاي ، هل ستعودان الى الطابق الأسفل أم

أنكما تفضلان تناول الشاي هنا ؟] ٩

قال براد :

[نريد هنا . فكلانا في حاجة الى حمام]

[كما تشاءان]

وأغلقت الباب خلفها تاركة لياهما . وانجذبت ليزا نحو إحدى التوافد ،

وأطلت على الأرض الجرداء التي كانت في ما مضى حديقة رائعة التنسيق

ذات أشجار وممرات وتناوب ، وقال براد الذي وقف وراءها :

[من الصعب العثور على بستان جيد هذه الايام . الجانب الخلقي أفضل

بعض الشيء]

قالت في آسى :

[ما كان يجب أن تعطلي ريك النقود في حين انت تحتاج إليها هنا]

اجابها برقة متناعية :

موقوف يا عزيزتي ، لا تنالي]

سكت بكفها وأدارها ليلطف لتواجهه وقال :

سأبلغ الخاتمة والثلاثين من عمري الخمسين المقبل وفي ذلك اليوم

أكثر من ربع مليون جنيه تبعاً لوصية أبي الروحي]

ابتعد براد عنها وخطع منزله استعدادا لدخول الحمام . وبدأت هي تفرغ
حقائبها وهي مشغولة الفكر . من تكون فيليبيا مور ؟ كان من الواضح أن
براد سلم جدلا بأن المرأة الأخرى شرحت لها علاقتها بال نورثون وفي الغالب
أن فيليبيا افترضت الشيء نفسه . وتحرك في أحضانها شعور غفي بأن وجود
هذه المرأة الجميلة التي تكبرها سنا يهدد سعادتها . وبعد دقائق سمعت طرقا
على الباب ثم امرأة مسنة تحمل صينية .. كانت باتي واحدة من النساء اللواتي
لا يمكن التأكد من حقيقة أعمارهن ، فيوجهها الصغير المستدير وبجانبها
الصاقيتين وبشعرها الأشقر الناعم . كانت تبدو بين الخامسة والخمسين أو
الستين . قالت وهي تضع الصينية فوق المائدة الصغيرة المتحركة :

لا أنت في حاجة إلى هذا الشاي بعد تلك الرحلة . إنني أسفة لأنني لم
أستقبلك على الباب يا سيدة نورثون . كنت أتوي ذلك لكنني نسيت موعد
الوصول ، وأحب أن أقول لك كم أنا مسرورة لرؤية براد أخيرا مع زوجة .
وزوجة جميلة كما أرى . إنني أعرفكما سبعة عشر عاما [

واضحة ليذا في ارتياح . لقد وجدت هنا على الأقل رجلا ودودا وقالت

[أشكرك يا باتي إنني متأكدة من أننا سنعلم معا]

ولمعت عينا المرأة المسنة وقالت :

[هل حدثك براد عني ، هل أخبرك أنني كنت مريضة]

[نعم ، وأخبرني أيضا أنك أصبحت فردا من أفراد الأسرة لذلك ألا

تعتقدين أنه من الأفضل أن تتدعيني باسمي فجزءا ؟ اسمي ليذا]

وبفرحة واضحة قالت باتي :

[يسرني ذلك كثيرا . هل أصيب لك فتجانا أم أنك ستظهرين خروج

زوجك من الحمام ؟]

[هائلا] وظهر براد في الغرفة وقد التف بثوب من القماش الناعم وكان

شعره الأسود مازال مبتلا وقال :

[ما رأيك يا باتي فيها ؟]

[إنها امرأة رائعة . إن هذا الزواج يشعرك ذرية نادرة الجنس لآل نورثون]

ابتسم وهو يتطلع إلى ليذا وقال :

[احترسي يا باتي إنها لم تعود على أسلوبنا في الحديث . ليس كذلك يا

٤ - سيدة قصر فارلي

فتحت ليذا عينيها على اتساعهما وشهقت ثم قالت :

[هكذا ؟]

[هكذا .. إن أبي الروحي كان صارما وهو يعتقد أن الرجل لا يكون أعلا

لاستغلال مبالغ مالية كبيرة قبل بلوغه تلك السن]

قالت بانفعال :

[لكن هذا رائع هذا يعني أنك ستكون قادرا على القيام بكل ما تريد عمله

في فارلي]

نظر إلى وجهها بفضول وقال :

[معظم النساء تسحرهن كثرة المال ليس هناك ما تريدته لنفسك ؟]

قالت بحزم :

[نعم أريد أن أطمئن أن فارلي مستقل قائمة بعد رجولنا . سيكون ذلك يا

براد أشبه بشراء قسم من التاريخ]

وانسحبت يده فجأة من فوق كتفها لتحضنها وقال :

[أعتقد أنني وجدت للنفس زوجة نادرة]

وتعلقت به ، مدركة أنه يضعها على هذا النحو ، فإن كل شيء آخر يفقد

أهميته . كان براد هو الذي أبعدا عنه قاعا في شيء من العشوة :

[ستطرق باتي بابنا ومعها الشاي في أية لحظة]

[باتي ؟]

[يمكنك اعتبارها مديرة بيتنا لكننا نعتبرها من أفراد الأسرة جايث إلى هنا

كعمرية لي عندما كنت طفلا وبقيت معنا منذ ذلك الحين ولست أدري

ما كان يمكن أن تفعله من دونها بعد وفاة أبي فقد أصبحت أمي وكذلك بأول

أزمنة قلبية وإن كانت متاعبها ترجع إلى مرحلة صباها عندما داعسها

حيثي

وكانت هذه هي المرة الأولى يستعمل في مخاطبتها هذه الكلمة ففصرها
شعور بالسعادة وبإتسامة مشرقة ردت :

[أتوقع أن أعتاد ذلك بسرعة]

وقالت بآني باسمه وهي تنتقل بصرها بينهما :

1 سائر ككنا لتناول الشاي ولأنس يا يودلي نورتون أننا في هذا البيت
نتناول العشاء في السابعة والنصف بالضبط]

وبعد الصمت لحظات بعد أن غادرت الغرفة وغمر ليزا إحساس بالخلل
عندما تيهت إلى أنها وحدها مع هذا الرجل الذي أصبح زوجها . وتحركت
في اتجاه غربة الشاي قائلة :

[قطعنين من السكر أليس كذلك ؟]

1 نعم [وتهض لياخذ الفنجان منها ثم جلس فوق مقعد قريب وقال بعد أن
تناول الرشفة الأولى :

1 انه لذيذ . ان بآني تجيد دائما تحضير الشاي]

وصبت ليزا لنفسها فجاءا ذهبت لتجلس فوق ذراع مقعده وبهدوء سألت
1: من تكون فيليسيا يا براد ؟

يرفع بصره نحوها وقال : [ألم تخبرك ؟]

[أخبرتي فقط باسمها]

[إنها من أبناء العمومة]

[هل تعيش هنا بصفة دائمة ؟]

[كلا ، انها تعيش في ليدز . أقامت هنا فترة ، ولكن أستطيع القول أنها لا
تسهر بالحاجة إلى ذلك الآن . لماذا تسألين ؟]

1 لأنني أعتقد أنها لا تحبني كثيرا]

ربما دفعت هذه الأجابة أي رجل آخر إلى الاستهزاء بالفكرة ، ولكن براد
اكتمى بأن جز كنفه قائلا :

1 ربما لا . إن فيليسيا ليست سريعة التأقلم مع النساء . عليها أن تعتاد
عليك حتى تألفك]

وفجأة أخذ منها الفنجان ووضعه مع فنجانه على الأرض قرب مقعده ، وقبل
أن تدرك نيته كان قد أحاط خصصها بذراعه وجلبها إلى الأرض وبرقت عيناه

بشدة وهو يقول :

[إنك لن تستطيعي الهرب مني طوال اليوم يا ليزا . ومن الأفضل أن
تدركي ذلك مرورا . هل أنت خائفة مني ؟]

ردت بسرعة : [بالطبع لا]

[إذن يرهني على ذلك]

ونظرت في عيني الرماديتين . ومرة أخرى أحست بالفرحة تحتاجها
وضحكت هامسة : [حسنا]

قال براد وهو يرفعها بإعجاب :

[هذا أفضل . هذا أفضل كثيرا ، ان الأمر لن يكون شديدا الصعوبة . أليس
كذلك يا ليزا ؟]

همست وهي تدفن وجهها في كتفيه : [كلا]

لن يكون الأمر صعبا على الإطلاق مادام قادرا على أن يشعل فيها مثل هذا
اللهيب .. هل حقيقة بدأ الحب على هذا النحو ؟ هل تحول الرغبة الحية
إلى هذا الدفء العاطفي الذي غمر كيانتها ؟ أنها بالتأكيد لم تشعر بمثل
ذلك نحو أي رجل آخر . في السابعة والربع هبطت ليزا مع براد السلم القديم
الجميل المؤدى إلى صالة كانت التوافد تعكس عليها ألوانها الرقيقة . ولأنها
كانت في حالة معنوية طيبة فأنها لم تحاول الانصات نحو مظاهر الخراب التي
حدثها عنها ، وبدلا من ذلك فقد تحيلت الغرفة التي كانا يتجهان نحوها في
ضوء الماضي غامرة بالناس تنبعث منها أصوات الخدم ووقع أقدامهم المسرعة
وهم يعدون المائدة الرئيسية العظيمة لعشاء الأسرة . ففي تلك الأيام البعيدة
كانت الصالة هي المكان الرئيسي تستعمل للأكل والمقبلات وحتى مجرد
الجلوس .

وقالت أفكارها : في تلك الأيام أيضا ، كانت الأرض في الغالب مغطاة
بفروع نبات السمار الأسطوانية التي حافظت على القاع سليما دون أن يتأثر
بما كان يتناثر فوقه من بقايا الطعام . وابتسمت ليزا لنفسها في شيء من
المرارة المعرفة بمكن ان تكون أحيانا عاملا على تمرية الحقائق وتحريرها من
الأوهام .

وكانت فيليسيا قد سبقتها إلى غرفة الجلوس . بدت خلافة في ثوب بسيط
من الحرير التراكوتا وقممت ليزا لير كانت قد ارتدت ثوبا آخر أكثر أناقة من

NOOR

ولم تسكن في فيليبيا تماما وبعد ما مدت يدها ورزيت على يده وقالت :
[يجب ألا تلقني بالا إلى دعابتي الصغيرة يا ليزا ، إنني وزوجك نتعهد أن
تستغفر أحدهما الآخر كلما التقيتا]

وتساءلت ليزا وهي تركز اهتمامها في صحن الطعام عما إذا كان هناك
شيء أكثر من القرابة بين المرأة ويراد .. شيء خطمه زواجه المفاجيء ؟ ربما
فسر ذلك سلوك فيليبيا وأجست بموجة غيرة تجاهها ، سرعان ما قاومتها
حتى لا تفقد سعادتها . يجب ألا تهتم بما سبق لقاءهما . كانت هي التي
أحبها وزغب الزواج منها وكان ذلك كل ما يعينها .

وانتهى العشاء وطلب منها أن تذهب معه لرؤية أمه وسألها وهما يعمران اليهود
الأول : [هل أنت متعبة لقد كان يوما طويلا]

وفكرت في أنه كان كذلك لكنه كان يوما رائعا وهضمت :

[بعض الشيء]

وأنف فرأته حول كتفها وجذبها لتلتصق به وقال بلطف :

[أتمنى ألا تكوني متعبة أكثر من اللازم فهذه ليلة زفافنا يا حبيبي ليزا
وأريد لك أن تذكرها]

ووقف أمام باب وطرقه بخفة وتراجع لينبح لها دخول الغرفة قبله . كانت
الغرفة شأن الغرف الباقية ذات مصابيح بخافتة الأضواء موضوعة فوق مناضد
وكانت المستقر الزرقاء مسددة فوق النافذتين . ويرغم أن الطقس لم يكن باردا
فإن النار كانت مشتعلة في المدفأة المبنية على طراز القرن الثامن عشر والتي
كانت ظللها تتراقص على وجه المرأة الراقدة فوق السرير المرتفع ذي القوائم
الأربع . وبدت اليسا نورثون تماما كما وصفتها ابنها وكان الشبه الوحيد
بينهما العينين الرماديتين اللتين رجتا بالقادسين ترحيب حار ، قالت الأم :
[إذن فأنت ليزا ، ليتك تعرفين كم اشتقت إلى اليوم الذي يحضر فيه ابني
عروسته إلى فارلي]

ومدت يدها نحو ليزا مبتسمة وعادت تقول وقد أمسكت بيد زوجة ابنها :
[تلك جميلة للغاية يا عزيزي ومبينة أيضا أستطيع أن أرى ذلك في عينيك
] وأبتسمت من جديد هذه المرة ليزاد وقالت :

[انه مثل أبيه ، عبيد .. هل تعتقدين يا ليزا أن في استطاعتك تزويجه ؟]
ووجدت ليزا نفسها تنظر إليه عبر السرير وواجهت ببجدية النظرة الساحرة في

ذلك الثوب الأزرق الفاخر من الكتان . وحاولت أن تكون لطيفة مع المرأة
الأخرى لكن صدها عن ذلك نفور فيليبيا القاهر .

وكان الوصول إلى غرفة الطعام عن طريق باب مزدوج في الجدار الخلفي
لغرفة الجلوس . وجلس براد على رأس المائدة الطويلة المصنوعة من الخشب
القاهر وأبتسم ليزا الجالسة إلى يمينه وقال :

[لو ترك الأمر لباني لأجلسيتك في مكانك الضحيح على الطرف الآخر
باعتبارك سيدة فارلي . لكن هذا الترتيب أكثر ملائمة ألا تعتقدين ذلك ؟]

ضحكت قائلة : [هذا صحيح فالمكان ملائم تماما]

والثقت بنظرة فيليبيا المشهكة وماتت الضحكة في أعينها وتمتت بلهفة
أن تعادر المرأة الأخرى فارلي في أقرب وقت ممكن . قد أجست أنها لن تترشح
في وجودها . وأحضرت بانى الطعام فوق عربة موقدة ، وشرح لها براد أن هذه
ضرورة لوجود المطبخ في الجانب الآخر من البيت وأضاف أنه خطط لتحويل
أحدى غرف هذا الجانب إلى مطبخ عصري والاحتفاظ بالمطبخ الرئيسي الكبير
كأثر تاريخي . وسألته ليزا متجاهلة وجود المرأة الأخرى وسط هذا الموضوع
الحيوي [ستقوم بنفسك بالعمل ، أليس كذلك يا براد متى ستبدأ العمل ؟]
[خلال الأسبوع أو الأسبوعين القادمين] أكملت المرأة التاريخية
والإنشائية ووسعت التصميم]

وارتفع حاجبا فيليبيا وقالت :

[فيدين على معرفة بهذه الأمور يا ليزا . هل فرأت عنها ؟]

وقال براد قبل أن تتمكن هي من الإجابة :

[إن ليزا مبدية على العمل نفسه الذي أقوم به]

[ذكية أيضا يا عزيزي برادلي ؟ أنت محظوظ]

وتعثر على ليزا فهم التعبير الذي ارتسم على وجه زوجها ، لكن بدا أنه لقي
بعض الترحيب لدى فيليبيا التي ابتسمت تقول :

[لكنك كنت دائما محظوظا لمستطقت في البالوعة فستخرج منها حمما
تفوح منك رائحة العطر]

رمقها بنظرة جامدة قائلا :

[تكلمت دون مناسبة بطريقة غوغائية . كفي عن ذلك يا فيليبيا فإن ليزا
لا تفهم مزاحك]

NOOR

عينه قبل أن تقول :

[استطيع فقط أن أحاول . هل روضت إياه ؟]

ضحكت اليسا قائلة :

[معظم الوقت لكن الأمر لم يكن سهلا . إن رجال آل نورثون يحتاجون

إلى حرص شديد في المعاملة]

وقال براد في هدوء :

[وهم أيضا يتعرضون على المناقشة في أمورهم كأنهم غير موجودين . في

أي حال تبادلنا ما فيه الكفاية من الأحاديث هذه الليلة . مستبعد بأنني حالا

لتحكم وضع الأغصية حولك يا أمي]

ولمعت عينها وهي تبتعد إلى اليسا قائلة :

[هل فهمت ما أعني كلهم مسيطرون] وانحلت إلى اليسا وقبلتها برفقة

فوق جبهتها قائلة : [أتمنى أن أراك غدا في أحسن حال]

وشمهل براد خارج الغرفة ثم قال :

[إذا لم يكن بضايقتك فإنتي أريد التحدث معها على انفراد . اضبطي إلى

الطابق الأسفل أو ربما ترغبين في الذهاب مباشرة إلى غرفتنا ؟]

وأحست اليسا بتراكم خفقات قلبها وباحتقان وجنتيها وقالت :

[حسنا ، سألتقط حقبي أولا من غرفة الجلوس]

[سأراك بعد دقائق]

كانت فيليبيا في غرفة الجلوس يدا عليها شيء من الدهشة عندما أقبلت

ليزا وحدها وقالت :

[هل هجرك براد بهذه السرعة ؟ يا للعار]

تجاهلت ليزا سخرية فيليبيا وقالت :

[نولت بحثا عن حقيتي]

[تعين أنك مشاويين إلى غرفتك في مثل هذه الساعة ؟ إن الساعة لم

تتجاوز التاسعة . هل على العروس حقا أن تظهر مثل هذه الدهشة ؟ اعتقد أن

ربع مليون جنيه مضاعف من جاذبية الرجل ..]

ورفعت ليزا رأسها ونظرت إلى المرأة الأخرى في ازدراء وكراهية وقالت :

[هل تحاولين الزعم بأنني تزوجت براد ماله ؟]

[ولم لا]

[ماذا تفصدين]

[أنه يعني أيتها الساذجة الحلوة أنك تخدعين نفسك إذا اعتقدت أن براد

يجبك ، من الواضح أنه أنتجرك عن الأمور التي سيرتها لكنني أراهن على أنه

لم يفصح لك أبدا عن أهم ما في الوصية]

وسكنت سلطت عينها على وجه ليزا الشاب ثم استمرت قائلة :

[كان عليه أن يتزوج حتى يحصل على المال فلو أنه بلغ الخامسة والثلاثين

وهو لا يزال أعزب فقد كان سيفقد هذا المال جميعا]

وقفت ليزا لحظات بلا حراك ، كان ذهنها يحاول استيعاب ما سمعته ،

وزاقتها فيليبيا في إيمان وعلى نعمها إبسامة غامضة ثم قالت :

[أتلك تحاولين عدم تصديقي لكنك تعرفين أن هذه هي الحقيقة ، وحتى

أوضح لك الصورة أكثر ، اذكر لك إن براد عرض علي الزواج منذ فترة ليست

طويلة وعندما رفضت كنت أعرف أنه يعاني يأسا ، وأنه سيفعل أي شيء

ليضع يديه على تلك الثروة]

وأحست ليزا بأن المرأة تقول الحقيقة واستطاعت في لحظة أن تلم بالموقف

كله . لقد تزوجت براد من أجل الخمسمائة جنيه التي بدت لها في ذلك

الحين ثروة ضخمة في حين أن ما حصل عليه و من هذا الزواج هو الثروة

الحقيقية . وبدا كل شيء لها واضحا : لم يقل لها أبدا أنه يحبها لكنها هي

التي افترضت ذلك ، أنه بساطة أتاح لها أن تعتقد ما أراد لها عقلها الساذج

أن تعتقده . كانت فيليبيا على حق كان محظوظا بما فيه الكفاية لأن يعثر

على واحدة مثلها في اللحظة الأخيرة تقريبا . ليست فقط في موقف يضطرها

إلى تلبية احتياجاتها وإنما أيضا جذابة بما فيه الكفاية لأن تجعل الزواج أمرا

معقولا ومأمولا . وأخافت من ذهول الصدمة وبدأت تواجه الواقع كانت متأكدة

من شيء واحد أنها لن تسلم لبراد يحق الاستمتاع بالزوجة التي لم يحبها .

وشتمت فيليبيا في خبث وهي تستدير في اتجاه الباب :

[أرجو لك ليلة سعيدة]

ولم يكن براد قد عاد إلى غرفة النوم عندما وصلت ليزا إليها . أغلقت الباب

وروقت لحظة وظهرها مستد إلى . عينها مغلقتان ، وحيدتا فتحتهما وجدت

السريز المرتفع القوائم في مواجهتها فعدا تماما . إن يأتي بالتأكيد هي التي

فعلت ذلك ، وأشاحت بنظراتها بسرعة وعبرت الغرفة في اتجاه مائدة الزينة .

NOOR

وجلسن أمام المرأة وأسندت رأسها إلى يديها . هذا ما شعر به ريك حتما حين علم أن مراقي الحجابات سيأتون . الشعور بالوقوع في فخ ، الشعور باليأس ! رفعت رأسها ونظرت إلى المرأة ورأت وجهها في شحوب الموتى ، وعينين غارقتين في الألم ، وكانت لا تزال جالسة في مكانها عندما دخل براد الغرفة وسأل يخفة :

3 هل سمعت لثوك ؟

وردت بصوت جاف لأوجهه لثنيه بينه وبين صورتها :

1 نعم لقد تحدثت مع فيليسا .

ورأته في المرأة يتجمد فجأة ، وعيناه تخملقان فيها وقال بصوت خال من التعبير :

1 أرى ذلك بوضوح .

استدارت لتواجهه قائلة :

1 هل هذا كل ما لديك ؟

1 ما الذي تريد مني أن أقوله ؟

1 أريد منك فقط أن ترد علي سؤال واحد . وأود أن ترد بنعم ولا :

عرضت علي الزواج في تلك الليلة هل كان ذلك لأنك أحببتني ؟

وساد صمت وراقبها تتحرك في تعابير وجهه . ثم قال : [كلا]

حتى ذلك الحين كان لدى ليزا شيء من الأمل في أن يستنكر سؤالها ، وأن يأخذها بين ذراعيه ليقتنحها بأنه علي رغم أن القصة التي روتها لها فيليسا صحيحة إلا أنه أحبها حقيقة . كانت مستعدة لأن تصدقه لأنها كانت ترغب بإثباته في أن تسمعه يقول ذلك . لكن نفيه كان أشبه بالصغعة حتى أنها بدت مترنجة . وحذقت فيه بعينين واسعتين ، وقالت أخيرا :

1 لم يعد هناك مجال لأي كلام أليس كذلك ؟

1 ما المقروض أن أستنتج من ذلك ؟ ما الذي قررت به بالضبط يا ليزا ؟

1 ماذا تفكر ؟ أريد إلغاء هذا الزواج . واستدارت بعيدة عنه وهي تناضل من أجل السيطرة علي نفسها في مواجهة هذا الموقف في حين انطلق هو قائلا باللهجة الباردة نفسها : [كلا]

واستبد بها الخوف ورغم ذلك اتدفعت قائلة :

1 لكنك حصلت الآن علي كل شيء . أما أنك تخشى أن تفقد المال إذا

الزواج ؟

هذه نقطة لم أفكر فيها حتى هذه اللحظة ، لكن وجه الخرابة أن ذلك سبب في أنني لن أوافق علي الألغاء .

1 ماذا إذن ؟

1 إنها أمي ، الصدمة قد تقتلها . وقامل وجهها والتوت شفتاه مستطردا :

1 إني إنسان يا ليزا .

عصت شفتها مدركة أن ماقاله عن اليسا كان حقيقيا :

كيف كانت تستطيع الحصول علي ماأعتقدت أنه الضياع الوحيد المتبقي

؟ إنها حتى لو غادرت هذا البيت فإن أم براد قد تموت . هل يستطيع أحد

تحمل هذا العبء علي ضميره مدى الحياة ؟ وانفجرت قائلة :

1 كيف استطعت ذلك ؟ هل يعني المال الكثير لديك ؟

هو كفيفه وتحرك يسارا ليستد الي مجموعة أدوات وقال :

1 أعرف أنك الأخرى تضمن في تفكيرك الأولوية للمال .

لها تلميحها وقالت :

1 كسي كنت صادقة معك ، إني لم أحاول أبدا التظاهر بأنني أحبك

لكن كنت تعرف أنني كنت حتما سأرفض الزواج منك لو أنني عرفت ذلك

شرط علي هذا الموقف الحاضر علي الأقل . إن مايننا الآن هو مجرد اتفاق

ليس لأشياء أخرى .

1 لا تكوني حمقاء . لا يهم كيف ولماذا فأنت مازلت زوجتي .

1 ما أظنك تتوقع .. لكنها لم تكمل . وقفت الكلمات في حلقها وبغلي

الاهتمام قائلا :

1 أن أحصل علي حقوقي الزوجية ؟ أنا لا أتوقع فقط . لكنني أريد

الحصول عليها .

1 كلا . وعلي رغم أنه لم يتحرك تجاهها إلا أنها انتفضت واقفة متاهة

وإن لم تكن متأكدة الي أين .

ليس لك الحق في ذلك .

لي كل الحق ، إنا زوجان وهذا يعني أشياء كثيرة يدور أنك نسيته .

1 بتوسل :

1 واد أنا أعرف أنه ليس شرطا أن يقع الرجل في الحب لكي يعيش لكن

NOOR

الأمر مختلف بالنسبة إلى المرأة ، أنها يجب . . .]

[لم يكن يبدو عليك عصر اليوم أنك تافرة من الفكرة . إنني لم أتعبر .
مازلت الرجل نفسه الذي اقتنعك في ذلك المقعد . أستطيع أن أجعلك
تتجاوزين الآن يا ليزا]

ورأته يتقدم في اتجاهها ، ابتلعت ريقها وقالت : [يراد لاجتماعي أكرهك]
قال وهو يجذبها من كتفها :

[كراهية ؟ ألم يخبرك أحد أن الحب والكراهية متقاربان ؟]

ورفعها بين ذراعيه واحتضن ذقنها بيده وأدار وجهها إلى وجهه وتمددت في
هدوء محادثة في العيشين الرماديين وقالت :

[ما من حقوقك الشرعية يا براد إذا شئت ، انتي لن أقاومك ، لن أعطيك
هذه المتعة سأكون كتلة من الجليد]

وابتسم وضغط بأصابعه بقسوة حتى أمسك برأسها بلا حراك وقال :

[حتى الجليد يمكن إذابته]

وقاومت ليزا لكنها عادت وإدركت أن مقالها كان صوابا ، وإن شيئا لم
يتغير عما حدث عصر اليوم نفسه ، وأنه مازال قادرا على اجتذابها وكان عليها
أن ترغم نفسها على إدراك أن ما يمنحها إياه ليس هو الحب ، وإن كل ما كان
يشعر به هو مجرد ما يربط أي رجل بأية امرأة ، يكفله التحدي الذي ألقت به
في وجهه . وكانت هذه الأفكار وحدها هي التي جعلتها تحتفظ بهزوها حتى
رفع رأسه أخيرا ، وجلس ناظرا إليها بعينين أوشك الشر أن يتطاير منهما ثم
استرد سيطرته ونهض فجأة وقال :

[أنتي أن تستمتعي الليلة بفراشك الخالي !]

وخرج من الغرفة بعدما أغلق الباب بعنف .

٥ - من أجل اليسيا

عند استيقظت ليزا كان الجو ممطرا غاصفا ولقيت في سريرها سائكة
عسا إلى صوت ارتظام المطر بالتوافد ، وخفيف الأشجار المحيطة بالبيت .
سرت ذلك نذير شؤم يضي بالنعاسة التي تنتظرها في قارلي ، وأغمضت
عينها من جديد وقد امتد بها الاحساس بالوحدة . كيف تنصرف إزاء هذا
الذي لا يستطيع احتماله ، ومع ذلك لم تكن تستطيع مغادرة المكان
في أصل اليسيا . وسمعت صوت باب غرفة الملابس وهو يفتح ، وفتحت
عينا وانتظرت متولدة الحدث الجديد ووصلها صوت ينادي بهدوء ولكن في
سبح : [ليزا ؟]

سرت أن تظاهر بالتوهم لكنها لم تلبث أن غيرت رأيها كان عليها أن
تجيب وسألت دون أن تتحرك : [نعم]
بحسب أن تحدث وأعتقد أنك تفضلين أن يتم ذلك وأنت مسيطرة
على ملابسك]

أصل ذلك بالفعل]

أمسك عشر دقائق الساعة الآن الثامنة والنصف وهناك ما تريد أن أحضره
من المطر]

عاد إلى غرفة الملابس مغلقا الباب خلفه . ورفعت ليزا الأغشية وقفرت من
سبح ، أمهلها عشر دقائق وهذا يعني أنها يجب أن تكون في الوقت المحدد
وكانت واقفة أمام إحدى النوافذ عندما دخل الغرفة بعد أن طرقت الباب
سرك ، واستدارت لتواجهه في دهشة بعدما لمست هدووه وانزاه على عكس
الليلة الماضية . ولم يحاول الاقتراب منها لكنه وقف وقد ارتسم تعبير
سبح على وجهه وقال دون مقدمات :

سأعقد معك صفقة]

NOOR

[أي نوع من الصفقات ؟]

3 صفة ضرورية ، فكما أخبرتك فإن أي الفعل يمكن أن تكون له لازمة خطيرة على أمي ، وإذا انتهت إلى أن زواجنا فشل قبل أن يبدأ فأنها ستخرد كثيرا]

كان يتكلم دون أن يبدو في صوته أثر للاتفعال ، واستمر يقول :

[إذا أدبت الدور معي أقصد إذا جعلت كل شيء يبدو ظاهريا على مايرام بينما قانني أحد بالآلة أزعجت أينا]

واضطربت لهجته بشيء من التهمك وهو يستطرد قائلا :

[أعتقد أن ذلك ما تريدون ؟]

وحدثت فيه ، أنها ليست مثله ، كيف إذن تستطيع أن تلعب الدور الذي يريد منها أن تقوم به لتخدع هؤلاء الذين سيرونها معا كل يوم ؟ إلى متى ستستمر هذه المهزلة ؟ وراقبها بإمعان ثم قال :

[أن ترون ليس في ضيعتهم التعبير علنا عن عواطفهم ولهذا يجب ألا نخافي من استغلالنا لانفاقنا على أي نحو ، هل هذا يطبعك ؟]

ورفعت رأسها وقالت :

[بالتأكيد ولكن لا بد من وجود حد لذلك فإننا لا نستطيع أن نضل طيلة العمر]

[لن نكون مضطرين إلى ذلك فهذا أمر آخر ثم أطلعك عليه : أمي لن تعيش أكثر من أربعة أو خمس أشهر ، إن ضحتها تدعور بسرعة]

وأخست ليزا بخصه وفجأة بدت لها متاعبها تافهة وسألت :

[ألا يمكن فعل أي شيء لانقاذها]

[حالتها تحتاج إلى جراحة لكنها لن تختملها ، الشيء الوحيد الذي يمكن الاقدام عليه هو محاولة جعل الأشهر القادمة الأخيرة في حياتها منعقدة قدر المستطاع ، ومن أجل ذلك أريد مساعدتك]

وأدركت ليزا أن هذه الحقيقة وحدها لا بد أن تجرح كبرياءه الأمر الذي كان يمكن أن يحقق لها بعض الرضى لكن هذا الأمر لم يحدث وبدلاً من ذلك اندفعت قائلة : [حسناً يا براد سأحاول]

[سأكون في غاية الانتباه] ونظرت إلى ساعة معصمه وقال :

[إنها الساعة إلا خمس دقائق هنا نزل]

كانت فيليبيا قد استقرت في مقعدها على المائدة عندما دخلت غرفة الطعام ونظرت إليها متفحصية وقالت :

[ميثاق الخير أرجو أن تكونا قد حصلتما على قسط كبير من النوم بعد رحلتكما]

كيف كانت ليزا تتوقع من براد أن يعامل المرأة التي أفسدت عليه خطته ؟ لم تكن متأكدة حقيقة ، لكنها لم تكن تتوقع منه أن يتسم لها كأنه شيئاً لم يكن ، وفي الوقت نفسه يرد نيابة عن كليهما :

[نعم ، شكراً ، هل رأيت أمي هذا الصباح يا فيليبيا ؟]

وبدت ابنة عمه مرتبكة كان من الواضح أن ذلك لم يكن رد الفعل الذي توقعته هي الأخرى وبعد لحظة قالت :

[نعم مررت عليها في طريقني إلى هنا وأخبرتني أنها تشعر بتحسن كبير]

وبقيت بصبرها بينهما ثم قالت :

[ماذا متفعلان في مثل هذا اليوم أنكما بالتأكيد لن تستطيع الخروج ، أعتقد أنك ستأخذ الأسبوع القادم أجازة يا براد لتتمتع بها مع ليزا]

[أعدت الأسبوع الماضي أجازة ولن أستطيع حالياً أخذ المزيد من الاجازات ، أما بالنسبة إلى اليوم فإن في البيت الكثير مما يجب على ليزا أن تراه]

انجذبت بإتسامة فائرة نحو ليزا وهي تقول :

[يالطبع أنت مهتمة بمثل هذه الأشياء اليس كذلك ؟]

وكانوا قد انتقلوا إلى غرفة الجلوس بعد الانتهاء من تناول الافطار وهمت فيليبيا بالانصراف قائلة :

[سأترككما للقيام بهذه المهمة]

لكنها وقعت والتفتت في بظء لتتطرق مباشرة إلى براد ، كان في عينيها تحد وهي تقول :

[أعتقد بأنه بات علي أن أعود إلى بيتي ؟]

[هذا أمر مشروك لك يا فيليبيا ستكونين على الرحب إذا شئت أن تصددي أقامتك في فارلي]

ومرة أخرى بدت المرأة حائرة ، مرتبكة ، وبعلت عن وجهه لم نظرت إلى ليزا كما لو كانت ظنت أنها تستطيع أن تلمح فيه أي تعبير ، ولكن ليزا حرصت على الاحتفاظ بتعابيرها صماء ، وأخيراً قالت فيليبيا :

NOOR

[لست متأكدة تماما من خططي الآن]

وعادت تنظر الى براد وفجأة لمع برق في عينيها وأضافت :
[قد أبقى لفترة أطول]

وأوماً بالموافقة دون كلام ثم استدار نحو ليزا قائلاً :

[أمي تريد أن تترك مرة أخرى هذا الصباح . هل تصعد اليها الآن ؟]

أقلت ليزا نظرة خلفها عندما وصلت مع براد الى رأس السلم متوقعة ان ترى ملائح الانتصار على وجه فيليسيا لكن الصالة كانت خالية . وفكرت في ان المرأة الأخرى قد تحقق لها بالتأكيد ماكانت تطمح فيه ، فقد جعل براد الامر واضحاً ، فهو برغم دخول زوجة الى حياته إلا انه لايمانع في الاحتفاظ بالشقراء الجميلة في البيت . وكان في دعونه فيليسيا لبقاء ماسيته له من متاعب مألوفة . شكوك ليزا في وجود علاقة سابقة بينهما ، علاقة ربما فكر في استئانها من جديد في ظل الظروف القائمة بينه وبينها . أو أنه قد لا يكون قطعها أبداً . قالت فيليسيا أنه عرض عليها الزواج منذ أسابيع وأنها رفضت ، ربما اعترضت هي الأخرى على دوافعه ، ولهذا انطلق بحث لنفسه عن أخرى يفوز عن طريقها بالميراث . ووقف براد خارج غرفة امه وفوجيء بموقف ليزا وقال :

[حاولي أن تكوني طبيعية في تمثيلك . أمي قد تكون مريضة ولكن لا تخلي على الامتلاق في قدرتها على الملاحظة . لن تتوقع منا أن نتعامل كمصنفين عاشقين لكنها ستجد الامر شاذاً للغاية اذا نفرت مني على هذا النحو كلما اقتربت منك .]

أرغمت ليزا نفسها على الابتقاء بعينيها . وقالت في هدوء :

[لن أخذلك لكنني أفعل ذلك من أجلها يا براد وليس من أجلك .]
قال بصوت فائر :

[ذلك لأن ما من شخص باستثناء أخيك ، يستطيع أن يحرك في أعماقك شعوراً صادقا .]

وفتح الباب قبل أن تستطيع الرد .

كانت اليسيا جالسة في الفراش ، مستندة بظهرها الى الوسائد ، وكان شعرها الاشقر الناعم مربوطا بشريط وودي ، وقد ارتدت سترة فراش ذات كشكشة ناعمة حول العنق ، وكانت تهتمس بهرح . لكن خطوط الإجهاد كانت حول

عينيها . وظلال التعب القائمة كانت واضحة فيهما :

[مرحبا يا عزيزتي . شكراً أجمل مما ظننتك البارحة . ياله من تحول فظيع في

الطقس اليوم . هل سيحرق ذلك خروجكما للترعة في المهرجان يا براد ؟]

[نعم لكننا سنفعل ذلك في وقت آخر .] وجلس على طرف السرير وراء

ليزا ، وأسند يده بخفة فوق كتفيها ، وسأل :

[هل سيزورك الطبيب اليوم ؟]

[لن يحضر قبل العصر ، لذلك كنت أفكر في النهوض لتناول الغداء .]

[عليك أن تعيدي التفكير في ذلك . أن ستوارت سيحرك مني يمكنك مغادرة الفراش ، وحتى ذلك الحين أرجو الانتحركي وأدارت وجهها في اتجاه

ليزا قائلة : لا تدعيه أبداً يضعك تحت سيطرته .]

ثم قالت له :

[أحب أن أحدث قليلاً مع ليزا . أريد أن أكتشف ابنتي الجديدة بنفسى .]

هل يمكنك أن تسلي نفسك لمدة عشر دقائق ؟]

[أعتقد أنه لا بد لي من ذلك فعندما يجتمع النساء يصبح وجود الرجل غير

ضروري . سأكون في مكنتي باليزاء ولا تدعي أمي تعطيل معني الحديث أكثر

من عشر دقائق .]

واستندت اليسيا الى الوسائد وقالت :

[هل لديك مانع أن تحدث عنك ؟ لم يخبرني براد عنك هاتفا إلا القليل .]

كل ما أعرفه أنك فقدت والدك عندما كنت صبية ، وأنت كنت تدرسين

لتصبحي مهندسة معمارية ، وقال أنكما تقابلتما عند آل مارشيانك ، أنهما

زوجان لطيفان اليس كذلك ؟]

ردت ليزا ضاحكة : [للغاية .]

وشاركها اليسيا الضحكة قائلة :

[إنه على حق . انا أتكلم كثيرا . كان زوجي يقول دائما أنني أستغرق في

توجيه الأسئلة حتى أن أحدا لا يجد فرصة للرد ولكن أعذك بالسكوت لمدة

خمس دقائق على الأقل أثناء كلامك عن نفسك .]

وحدثها ليزا عن نفسها وأغلقت الكثير مما يخص ريك وقالت اليسيا عند

انتهائها : [تعرفت الى براد قبل أن تقررا الزواج بمثل هذه السرعة ، الأمر الذي

يدل على أننا لا نعرف أبدا حقيقة أقرب الناس إلينا .]

التاريخية التي أجراها لخدمة هدفه الرئيسي . ولذا لها يزداد واحدا من الفلة المشغانية في عملها المتخصصة في دراستها . بالطبع كان جزء من اهتمامه يعود الى كون فارلي بيته ولكن حتى مع وجود هذا الاعتبار فان رجلا يكرس ستة أشهر من أوقات فراغه لمثل هذه العمل كان يستحق الإعجاب . وعندما انتهت من شرحه قالت :

[الآن أعتقد أنه من المهم العثور على الرجال المناسبين للأعمال المختلفة هل في ذهنك أحد ؟]

[انني محتاج الى رجل ممتاز في عمله وأعرف بالضبط من اريد . لكن المهم هو التعاقد معه ، فقد تشرب روبرت تومبسون نفسه ومازال يعيش في كيلبرن]

[روبرت تومبسون ؟ أليس هو الذي يتخذ القار رمزاً ؟ ألم يرسل أحدهم ذات مرة رسالة من استراليا وعلى الظرف مجرد فأر مرسوم مع كلمة يورك : انكثرا . ووصلت الرسالة الى صاحبها]

[نعم هذا صحيح تماماً ان شهرته عالمية]

واستمر براد يفرس التصاميم وقال :

[وعلي أيضاً التعاقد مع الكهربائيين . أدخل أبي الكهرباء منذ خمسة عشر عاماً وحسب معرفتي فإن أحداً لم يكشف على هذه الخطوط منذ ذلك الوقت الا مرة واحدة]

[وبالطبع خشب البلوط يفرز حامض التنيك ، وهذا يمكن ان يفسد حتى الغطاء الرصاصي للكابيل الكهربائي]

[بالضبط ومجرد احتكاك بسيط يمكن ان يشمل ناراً تأتي عنى البيت كله]

[وضع براد القلم الذي كان يرسم به رسماً به وسألها :

[هل تريدان مشاهدة بقية البيت ؟]

[اذا كان لديك الوقت لذلك]

[لم يكن من المتوقع ان يعمل اليوم وامامنا ساعة ونصف ساعة قبل موعد الغداء]

استغرقت ليزا وقتاً أقل من ذلك بكثير لتكشف المهمة الكبيرة التي أخذها براد على عاتقه لتجديد البيت . وكما كان أخبرها ، فإن أيام فارلي كانت معدودة ، فالم يبدأ العمل جدياً وبسرعة في عمليات الترميم . كانت الرطوبة

مثل أسوأ الأخطار . وقبل البدء في أي عمل آخر كان لا بد من معالجة أجزاء التي أصابها الرطوبة بالضرر . وكانت غرف الجناح الجنوبي فقط هي سروشة وفيها جمعت كل مخلفات أجيال آل نورتون المتعاقبة من القطع الخشبية . وعندما رأت اليدني القويتين تتحركان بحرص ورقة فوق سطح حجرة من خشب البورد ، أحس ليزا بغصة في حلقها وابتعدت بسرعة : هل كان من الممكن ان تشعر بالغيرة من قطعة أثاث صماء ؟ جذبت النافذة عرائسها . كان المطر مازال منهمراً لكن العاصفة كانت قد هدأت بعض الشيء قالت : [لا أعتقد أن زواراً سيحضرون اليوم]

[كلا بعد عطلة نهاية الاسبوع هذه لن يحضر أحد البتة . ليس في هذا موسم . سيعقبتنا ذلك من الشفرجين وهواة الشمس والاختبار . سيكون امامي عمل شاق ومحاولة للتوفيق بين روتين عملي العادي والعمل هنا . اتصلت صباح اليوم بشريكي وأخبرني أننا نعاقدنا للعمل مع عدة مكاتب جديدة وهذا يريدعو للرضا بالطبع . لكنني حالياً في حاجة الى فترة راحة]

وسألت بتردد :

[ألا يمكنني المساعدة ؟ أعني لو انك شرحت لي بالضبط المطلوب عمله]

بهي أمتطع مراقبة سير العمل . لن يحتاج ذلك الى خبرة كبيرة .

أبسم براد ساخراً وقال : [هل الأمر يمثل هذه البساطة ؟]

احتفن وجهها وهي تقول : [لم أقصد ..]

[اني متأكد من ذلك لكن كنت جادة في رغبتك في المساعدة فلا

سأيقني الاعتراف بانك يمكن ان تكوني مفيدة . ستناقش ذلك فيما بعد]

حتى تلك اللحظة كانت ليزا تعتقد أنه قد يختار بهذه الطريقة ليرد على موقفها منه الليلة السابقة ، حاكلاً بينها وبين القيام بأي دور حقيقي في عملية ترميم البيت . لكنها عادت وأدركت ان أية محاولة انتقام من جانبها لا يمكن ان تهبط الى هذا المستوى من الحقد الاعشى .

٦ - الكوخ

كانت الأيام التالية هي الأول بالنسبة إلى ليزا فقد كان الجو ممثلاً اضطرب إلى ملازمة المنزل مع اليبا التي لم يسمح لها الطبيب بمغادرة الفراش . وفي أصل يوم الثلاثاء شعرت ليزا أنها لم تعد تتحمل الجو المتوتر مع فينسبا فارتدت المغطى الحوائي للمطر وخرجت لتشمس . لا يهم إلى أين وإنما المهم أن تهرب لفترة من المرأة الأخرى . وفي مثل هذا الجو كانت فارلي بصفة خاصة تبدو معزولة عن العالم الخارجي ، الضباب الرقيق يلف الحدائق ويكفي الأصوات الناجمة عن حركة المرور القليلة التي تلتق سبلها على الطريق الوحيد التي تبعد مسافة نصف ميل ، وتخفي المشهد الرائع لكراقرن هايلاندز . وقد بدأ الطريق في ذلك اليوم أطول وأكثر تعرجاً واتخذت الشجيرات التي تحف بها أشكالاً غريبة .

وتوقفت عند نقطة يعطف منها عمر ضيق متجهاً إلى اليمين عبر الأنجاء ويخفي في غلاله رقيقة من الضباب . وبمد برهة واصلت السير فيه ، تجر قدميها المتناقضتين وتطأ بهما البقايا المشبعة بالندى للأوراق المتساقطة من الأشجار . كان الصمت يلقيها . ربما كانت هي الكائن الحي الوحيد في مثل هذه الظروف في إطار يبلغ ألف ميل .

لأبد أنها سارت نحو عيسى دقائق قبل أن ترى الكوخ يظهر أمام عينيه وسط الضباب . كان يقوم في وسط حديقة صغيرة مسورة . وكان هناك ضوء منبعث من النافذة الأمامية . دفعت ليزا الباب البيضاء المنخفضة ومضت عبر النمر إلى الباب الأمامي وطرقته بنعومة . لم تكن لديها فكرة عما ستقول لسكران الكوخ . شعرت بأنها تريد أن تتحدث مع شخص ما خارج فارلي .

ويبدو أن الباب لم يكن مغلقاً جيداً ، فبمجرد أن لمستته انفتح ليكشف عن غرفة ماثلة السقف تبدو دافئة وبعيدة وفيها مدفأة نارها موقدة . وقد فتحت في

حائط منها نافذة خشبية ، تحتها لوحة تصف متكامله المنظر الطبيعي وكانت تلك لوحات زيتية أخرى مرسومة على القماش ومعلقة على الجدران ، فضلاً عن لوحة ألوان الرسام معلقة على كرسي . وبدون أن تتوقف لتفكر مضت ليزا إلى الداخل ، وأغلقت الباب بهدوء على الضباب المنتشر في الخارج واتجهت إلى اللوحة لترآها عن كثب .

قالت لنفسها وهي تأملها ، إنها تتأخر مذكر بأعمال فان غوخ من حيث طريقة التي يوزع بها الفنان ألوانه . وقالت بصوت مرتفع :

[أنني معجبة بها]

[شكراً لك]

فرجعت بالصوت فاستدارت سريعاً لترى رجلاً يقف في مدخل الغرفة وينظر إليها في تأسس على تلوح عليه علامات السرور . ويرغم يقع الألوان على ستره الزرقاء القديمة فإن الفكرة الأولى التي خطرت ليزا هي أنه لا يمكن أن يكون هو من رسم اللوحة الموجودة وراءها . فهو لا يشبه الفنانين في شيء . كان يكبر براد بحوالي خمس أو ست سنوات ، وكان شعره البني يصطبغ بون رمادي عند سواقفه . ويضيء على ملامحه المتسابة نوعاً معيناً من التناغم . قالت ليزا :

[أنا أسفة . أنني أعرف أنني قد تجاوزت حدي ، لكن الباب كان مفتوحاً . سأذهب حالا]

[ليس هناك داع لهذا . أعددت بعض القهوة هل تريدون قليلاً منها ؟] ونظرت إليه ليزا بعين فهمي تدرك أن الموقف غير مألوف . لكن عيني الزرقاين اللامعتين طمأنتها ووجدت نفسها تنسم له وتقول :

[أنها تعجني كثيراً]

واستدار فوراً ، وانحنى في الغرفة المجاورة وهو يقول لها :

[علفي معطرك خلف الباب . سأعود خلال دقيقة واحدة]

وبدا اقتراحه معقولاً . كانت الغرفة دافئة ومعطرها رطباً للغاية فخلعته وخلقت أوف ستره القرائية ذات الفلنوسه الزرقاء . وعندما عاد كانت تجلس في مقعد خشبي بجوار المدفأة . وأخذت منه الكوبز السميك ذا اللونين الأبيض والأزرق وهي تشعر بالامتنان ، بينما كان يقول لها :

[آسف لا أستطيع أن أقدم لك شيئاً أفضل من هذا]

[إنها جيدة]

ورفعت الكوز إلى شفيتها ورشفت رشقة من السائل الساخن فتشدي اللون وهي تدرك أنه يركز بصره عليها ، وأضاف قائلا :
[أنا ليوك بلاند وأنت لا بد أن تكوني السيدة نورتون الجديدة . ما الذي جعلك تخرجين في يوم كهذا ؟]

واستدارت برقة وهي تخفض بصرها إلى النار المشتعلة وقالت :

[شعرت بأني أريد أن أتمشي قانا لا أبالي بالمطر]

[لكن السيد براد يبالي حسيما أعتقد]

[لكنه ليس في البيت ولن يعود قبل السادسة] وتأملت الغرفة ثم قالت :
[إنها جميلة يا سيد بلاند]

قال وهو يفوس في المقعد ويستد ظهره إلى حجر المدفأة :

[ليوك من فضلك قانا لا أحب الرسميات]

وأومات موافقة وهي تحس باسترخاء ك أنه انسان لطيف على نحو مريح وفجأة شعرت بسرور بالغ لانها وجدت الكوخ ودخلته . فهي تجلس هنا بعيد عن التوتر السائد في قارلي كما لو كانت في عالم مختلف . فقد استطاعت لفترة وجيزة أن تنسى الأيام القليلة الماضية وأن تستعيد نفسها . ونظرت من النافذة وهي تحاول أن ترى الصورة العامة لكل هذه البقعة المنعزلة في اعماق الشتاء وهي تقول : [هل تعيش هنا طوال العام ؟]

[ان الأمر بهذا السوء على الدوام . أنني أمون نفسي بكمية كافية من الطعام المثلج تكفي لعدة أسابيع . وبذلك أحقق الاكتفاء الذاتي . حتى بالنسبة للناس فأنتي حتى في الصيف لأرى أحدا أيام طوال . فلا أبالي بالناس عادة يجلبون المثل . وقالت وهي تنسم :

[اذن علي ألا أبقى بعد انتهاء وقت الترحيب بي]

[يمكن أن تكوني من الاستثناءات القليلة . فأنت لديك القدرة على الاستمتاع الهادئ الذي لا يتطلب من جاني أي جهد خاص]

وسألت فجأة : [كيف عرفت اسمي]

[الجميع يعرفونه . فمارالت عودة براد إلى قارلي بعروسة الجميلة هي الموضوع الوحيد للحديث في القرية]

[أنا لست جميلة !]

بأملها يتمن للحظة ثم قال :

قد لا تكونين خاتمة للأبصار وفق بعض المعايير لكن الجمال يتحدد حسب العين التي ترى . ان لك قواما زائعا وعينين مذهبتين . وأنا أحب أن أملكك .

[تحاول أن ترضي غروري !]

لا يمكن ألا أن أهتم بك . إنك تأسيريني . فأنت شابة وفاتنة وعرووس .

ما تريد المرأة ان تكونه . ومع ذلك فأنت لست سعيدة]

بالطبع أنا سعيدة . وأعتقد أنك تركت لخيالك العنان . علي أن أذهب أن يشهد المطر مرة ثانية]

أنا اسف . تعودت أن أقول ما أعتقد دون مراوغة وهذه ليست على الدوام طيبة . أعذك بأن أهتم بشؤني فقط لو بقيت وأكملت قهونك]

وحلست تنظر اليه وهي تدرك انها تريد ان تبقى وانه هو ايضا يعرف ذلك

وأخيرا سأله : [كيف عرفت براد ؟]

أخذ رشقة من القهوة قبل ان يقول :

[أنا لا أعرفه جيدا . ان ايجار هذا المكان يدفع من خلال محامييه في براد فورد ، وعلى هذا فليست مضطرا للذهاب إلى المنزل . ونادرا ما يأتي هو إلى هنا . وإذا جاء فإنه لا يبقى طويلا ويكتفي بالسؤال عما اذا كان كل شيء على ما يرام . وهو لا يضابقني وأنا لا أضابقه . أعتقد أنه يمكن القول انه أمر مشغول من الطرفين]

بالطبع هذا ما يرضي براد . نستطيع ليزا أن نتصور هذا فليس هناك شيء يشرك يربطه بالرجل الجالس قرب قدميها باستثناء حبه للنقش . وادركت أن حديثها الي هنا هذا الاصيل لن يرضي براد لو أخبرته .

[هل أستطيع أن أرى بعض الاعمال]

[تفضلي]

مشيت إلى أقرب اللوحات الزيتية وبدأت تتفحصها الواحدة بعد الاخرى . كانت الألوان تقفز في فرج من كل لوحة ، غروب الشمس ينشر أجحة من لون القرمزي عبر سماء زبرجدية ، صخور متحجرة متفحطة تلفي ظلالا جوازية على الخضرة المورقة للوادي . المياه تتدفق بغزارة نازلة من على جانب تل ، وكل نقطة فيها تحلل أشعة الشمس إلى ألوان الطيف ، وكانت هذه

NOOR

اللوحة واقعية الى حد جعلها تشبه كأن الرذاذ يداعب وجهها . وذهبت في اصحاب : [انها راقية ، هل بعث شيئا منها ؟]
وقال وهو جالس في مكانه :
[قليلون يشقون طريقهم الى هنا . لكن لي صديق حميم في ليدز يشال صلاة عرض . وهو يعطيني هذه الصلاة أسبوعا في كل خريف ، وعادة تكون الأمور جيدة]

[ونعيش من العجيلة حتى العام التالي ؟]
[ليس تماما . فانا مخطوط لأني مستقل ماليا بقدر كاف ومقبول بحد لي بأن أرسوم ما أحب وألا أبذل وأعطي الى مستوى سوقي . ولا يعني ذلك أنني أدين أولئك الذين يكسبون عيشهم من استغلال المناجاة العامة]
وبعد ذلك صمت . كذلك فعلت ليزا بل وسرحت حتى تامت وجوده وفجأة قال لها بهادوه :
[كنت حادا تماما عندما قلت لك أنني أود أن أرسلك . هل تجلس أمامي لبعض الوقت ؟]

واستدارت لتنظر اليه وهي تقول :
[لا أعتقد أن رسم الأشخاص يدخل في الخط الذي اتجهته لنفسك]
[انه ليس كذلك . على الأقل ليس بالطريقة التي تعنيها . استخدمت كلمة مجلسين بأوسع معانيها . فانا أتخيلك مجلسين ووراءك خلفية من أشجار الصفصاف المكسوة باللون الأخضر حتى يمتزج جسمك معها ويصبح وجهك موضع التركيز . بل اني أعرف الموقع الذي أريده ، انه يشهد فقط بضغ مناد من اليرادات عن بابي الخلفي . ان ذلك طبعاً يختلف عن أسلوبنا المعتاد لكن على كل حال الانسان يحرب شيئا جديدا بين الحين والآخر . هل ستجيب لي الفرصة يا ليزا ؟]

وقالت وهي تفكر في العمل الذي سيبدأ في غارلي في الأسبوع التالي :
[لا أعرف ما اذا كان الوقت سيسمح لي بذلك]
[ربما نستطيع أن نتحدث في ذلك مرة ثانية . ليس هناك وجه للعجلة لدينا ما بقي من فصل الصيف]

وضمت ليزا الصورة التي كانت تحملها في مكانها وهي تقول :
[نعم . على أن أذهب الآن . بلغت الساعة الخامسة]

وقوف ليوك وهو يقول :

[سأسير معك جانباً من الطريق كجزء من رياضتي اليومية]
وجالت بعصرها مرة أخرى في الخوفة التي تشع مودة قبل أن ترسل ثم رست باقة المعطف ونبتته . ولم يتحدث أي منهما وهما يعبران الممر ثقت الانجار التي تتساقط منها قطرات الماء ، لكن لم يكن هناك أي نور في هذا الصمت . وبدا الأمر كما لو كانا يعرفان بعضهما البعض منذ وقت طويل .
واfterا عند النقطة التي يلتقي فيها الممر بالطريق . ورغم أنه لم يقل شيئا ، فقد كانت تترك ليزا أنها ستلاقي الترحيب في الكوخ في أي وقت تود الذهاب اليه . لقد وجدت في ليوك بلائد صديقا ، وهذا ما جعلها تشغ بالارتياح . وعندما دخلت الى المنزل كان براد خارجا من الردهة . كان يرتدي معطفا للمطر ، وقوف عندما رآها واقفة في المدخل وقال في برودة :
[كنت ذاهبا للبحث عنك . هل تدركين انك نغيت ملحقين تقريبا . أين كنت ؟]

[أتمشى] قالت هذا وهي تفتق الباب بحرص ، مصممة على الا تقول ليزا شيئا عن زيارتها للكوخ .
وتأملها مليا وهو يقول : [أين ؟]
فردت وهي تحرك يديها بصورة غامضة :
[في هذه الانحاء فقد كنت محتاجة للترويح عن النفس]
[لم بعض وقت طويلا على وجودك هنا . وأنا لم أكن موجودا لتعزيني مني]
[فقالت بحدة وهي تستدير لتعاني معطفها :
[لم أكن هاربة بل كنت أتمشى]

[لأنني دور الأيام معي يا ليزا . هناك حدود لما أعمله منك]
[حدود لما تصنعه . ألا تفكر في غير نفسك يا براد ؟]
وتقلص فمه ولم يلبث أن قال بصوت ناعم :
[ربما كان من الأفضل ألا أقول]
وسادت لحظة من الصمت الموتر ثم مضى من باب الردهة وهو يقول :
[شعرك مبتل . إذهبي وجففيه قبل أن تصابي ببرد . هناك نار موقدة في غرفة النوم]

ومضت ليزا صاعدة الى غرفة نومها حيث خلعت ملابسها بصورة آلية

NOOR

وارتدت روبا ثم مضت الى الحمام حيث ثقت رأسها في منشفة وأخذت تحكها بها بقوة حتى غدا شعرها جافا ، وطردت كل الأفكار من ذهنها ، فقد كان التفكير مؤلما .

استجعت وارتدت رداء صوفيا لونه أصبح شاحب ، وعقدت سمعت الباب الخارجي للغرفة يفتح ويغلق ، وركزت انتباهها على صورتها في مرآة طائفة اللبس ، ووضعت أحمر شفاه بيد مرتعشة قليلا ، وانتظرت أن يفتح الباب الموصل ، دون أن يحدث هذا . فما كان منها إلا أن واصلت وضع أحمر الشفاه وأسندت رأسها على يديها ، واستغرقت في التفكير بعمق . إلى متى تستمضي الأمور على هذا النحو ؟

وكانت المياه لاتزال تتساقط في الحمام عندما مضت إلى الدش . كانت الساعة لاتزال السادسة والنصف . مارلت هناك ساعة للعشاء ما الذي تستطيع أن تفعله حتى ذلك الحين ؟ إن غرفة الجلوس مستعدة لأن فليسيا قد تكون هناك . وحتى إذا لم يكن فإن براد هناك ما يحضر ، وهي لا تريد أن تكون وحدها معه في حالة الراحة . لم يكن امامها غير اليسيا .

كانت حفاطتها تجلس في الكرسي المربع ذي المساند قرب المدفأة تظفر مفرشا لكرسي في غرز منههنة مدققة . ولتستريح لئلا مرتجة عند دخولها الغرفة وهي تقول : [ماذا فعلت هذا اليوم ؟]

[القليل ، ماذا تفعلين ؟]
[مفرش لأحد كراسي غرفة الطعام ، إنها في حالة سيئة . لقد صنعت ستة مفرش ، وهذا السابع . إنني أعمل بصورة بطيئة هذه الأيام . هل تحبين شغل الابرة يا ليزا ؟]

[إنني لا أستطيع حتى أن أرتق جوربا دون أن أثلثه . لذلك كان ريك يفضل شراء جوارب جديدة]

[هل وصلت أخبار عن أخيك ؟]
هزت ليزا رأسها ومدت يدها بحجة أنها تستدفيء بالشار برغم أن الغرفة لم تكن باردة على الإطلاق وهي تقول :

[ريك ليس من هواة كتابة الرسائل]

[ليس هناك رجل يحب هذا . عندما يكون براد مسافرا فإنه يفضل استخدام الهاتف على أن يحط جرفا . لكنني شخصيا أكره هذا الاختراع . فالإنسان

يتذكر دوما مئات الأشياء بعد انتهاء المكالمات . أما الرسائل فتقول الكثير ويمكن استعادة ما فيها مرات عدة]

لكن ريك لن يكتب . كانت ليزا متأكدة من هذا . فهو أيضا يفضل التقاط سماعة الهاتف والاتصال بالناس ، لكن من المشكوك فيه أن يعتبر أخته جدية بشيء من الاهتمام . ربما لم يفكر فيها على الإطلاق في الأيام الأولى لحريته الكاملة . بالطبع هي تستطيع أن تتصل به هاتفيا ، لكن ذلك سيكون الحل الأخير . مهما كانت الأعذار التي قدمها عما تفوه به في تلك الليلة ، فلا بد أن المشاعر التي جعلته يقولها كامنة في داخله . والجرح مازال باقيا في داخلها هي . في أي حال فإن ما فيها يكفيها وليس هناك مجال لأن تتشغل على أخيها . ومما ألتها اليسيا :

[أين يراد الآن ؟ توقعت أن يأتي معك]

[تركته بغير ملابسه استعدادا لتناول العشاء . ألم ترونه بعد ؟ غدا في نحو الخامسة ؟]

[بل قبل ذلك ، فقد جاء إلى ليري إذا كنت أنت هنا . لكنه لم يمشك طويلا . أعتقد أنه يبدو غريبا نوعا ما . هل تشاجرتما ؟]
ردت ليزا بسرعة قائلة :

[كلا بالطبع . ذهبت لأتمشي هذا الاصيل ، وبقيت في الخارج مدة أطول مما كنت أتوقع . وكان براد خارجا للبحث عني عندما عدت إلى المنزل]
[تتمشين في مثل هذا الجو ؟ لا بد أنك تبللت بالماء ؟]

[كلا لم يحدث هذا ، فقد اتقيت المطر خلال حظوله الغزير . ومضيت أنفقد المنطفة . أكن يكف هذا المطر عن إزعاجنا ؟]

واستمعت اليسيا في رد وهي تقول :

[لم يكن هذا تقديما طيبا لموقعنا هذا من العالم ، اليس كذلك ؟ لكنك ستريين مفاجأة سارة عندما تستيقظين في الصباح . لقد كانت الريح تدور إلى الجنوب الغربي في وقت الاصيل أمس . وهذا يعتبر بشيرا بعبير الطقس إلى الأفضل في أي حال فنحن نأمل هذا . قال لي براد أن الرجال سيحبون إلى هنا غدا لبدأوا العمل]

[غدا / فهمت أن ذلك سيتم في الأسبوع القادم]

[ألم يقل لك بعد ؟ من الواضح أنه يحاول أن يجعل في العمل عما كان

NOOR

محطته . أن ما تستطيع التقود أن تفعله أمر يدعو للدهشة . عندما كانت حرائق آل نوريون غارية ، وليس لديهم سوى ما يمكنهم من العيش . كان عليا أن تنتظر أسابيع حتى يتم القيام بأبسط عمل نظيف . لكن الآن وقد أترى براد هذا الأمر مختلف . والناس في هذه الأثناء وسائلهم في نشر الأخبار ونقصي المعلومات ومحاولة الاستفادة . لكنني أؤمن بأن هذه الثورة الجديدة التي هبطت علي براد لم تكن هي التي جديتك اليه إطلاقا . أليس كذلك يا حبيبي ؟^٩ وتردوت ليزا غير واثقة تماما من الطريقة التي يجب أن ترد بها على السؤال ، ثم قالت ببطء :

[أنها ضرورية لغارني ولهذا السبب فأنا مسرورة لأن جده ترك له التقود]
وأضافت اليسيا بصوت حنون : [لكن التقود في حد ذاتها لا تعني الكثير بالنسبة اليك . لقد تزوجت براد دون أن تعرفي شيئا عن ميراثه . نعم ، قال لي هذا الليلة الماضية . وأنت لا تحبينه من أجلها . إن ابني رجل محظوظ إذا تحقق له الاقتران بك يا ليزا . أن التقود تفعل الكثير لكنها لا يمكن أن تحقق لك السعادة التي سيعرفها مع زوجة مثلك]
ونظرت إلى الباب عندما سمعا طرقا عليه وضمت قائلة : [ها هو]

ثم رفعت صوتها قائلة : [ادخل]
وأدارت ليزا رأسها والتفت عيناها بعيني زوجها . وأبتسمت . فقد كان عليها أن تبدو طبيعية من أجل اليسيا . وقالت :
[أنك سريع ، فلم يمضي علي وجودي هنا سوى بضع دقائق]
[أنك تحكمين علي في ضوء الوقت الذي تستغرقينه أنت . هناك حقيقة معروفة وهي أن النساء يقضين ثلث حياتهن في الحمام]
وردت ليزا :

[وأثلث الثاني في النوم ولا يترك هذا وقتا لأي شيء آخر ، اليس كذلك]
وارتد بصرها إلى اليسيا وهي تضحك وقالت :
[هل لاحظت كيف يجب الرجال إطلاق التعليمات على الجنس الآخر أنهم يصرون على حشدنا معا تحت عنوان مشترك ، الأمر الذي لا يدع مجالاً لشخصية الفردية]

ونقدم براد إلى الأمام ليستند مرفقه إلى ظهر كرسي أمه . ونظر إلى زوجته وهو يقول : [ألا تقولين أنت نفسك أن الرجال مشايهون ؟ أن كلا من

الجنسين يتبع نمطا معينا في بعض الجوانب ، لا مفر من هذا ، لكن رد الفعل إزاء بعض المواقف قد يختلف بصورة كبيرة بين الأفراد . وهو ما لا يمكن الشك في به دائما]

قالت اليسيا وهي تبتسم : أحسن أن هنا صداما بين الإرادات . دافعي عن حقوقك يا ليزا . إن رجال نوريون كانوا دوما يحقون الضعيف بلا رحمة]
وقبل أن تتكلم ليزا قال براد :

[ليزا ليست ضعيفة . لقد ولدت متمردة لكنني سأروضها]
وأجبرت نفسها مراعاة لخطرها ليسيا على أن تقبل بنعمته :
[بحثنا ، اليس كذلك ؟]

لكنها كانت تدرك أن براد لاحظ رد فعلها الغريزي إزاء لهجة التهديد في صوته . وذلك بمشاهدتها له وهو يوسع ابتسامته ببطء .

وركع علي ركبتيه ومد يديه إلى النار يشتد في بها ، وهو يقول :
[لو قشلت كل الوسائل الأخرى فسنأجرب هذا . ثم أضاف مسائلا :
[هل أتى ستيوارت اليوم ؟]

وردت أمه بمرح :

[نعم ، وقال أنني أستطيع أن أبدأ هذا السؤال إلى الطابق الأرضي ، لكنني لأعتقد أي أقيم بذلك ما لم يتحسن الجو بدرجة تسمح لي بالخروج من المنزل . أكم تقل أن العمل سيبدأ غدا ؟]

[ما سيبدأ غدا هو الاستعداد للعمل . أكرس كله لضمان البدء فيه . هل انت واثقة أنك علي مايرام بدرجة تجعلك تتحملين كل الفوضى التي ستحدث هنا خلال الأسابيع القليلة القادمة ؟ أستطيع دوما أن أوقفهم في أي وقت]

[لم تفعل ذلك بسبي . إن غارني تعني الكثير بالنسبة لي يا براد ، ولو أوجبت العمل مرة أخرى فإن هذا سيعني انقضاء عام آخر وحدوث مزيدا من التدهور قبل أن تبدأ . إضافة إلى أن مجيء شواء آخر علي غرار الذي انقضى يعني أصابتنا بالانهاك الرئوي . وانت تعرف كم تتطلع بوني إلى مطبخها الجديد]
[حسنا ، حسنا ، إنني كنت أسألك لحسب]

[وقد حصلت علي الإجابة . هل سمعت شيئا من محامي دان]
وتلاقت العيان الزرقاوان بالعينين الرماديتين :

١ تلقيت منه رسالة بالأمس. وسأتولى التصرف في الاستثمارات ابتداء من يوم الخميس. وقد أصدرت إليهم التعليمات بأن يبعوا قسراً كافياً من الأسهم لتوفاء باحتياجاتي من رأس المال في الأسابيع القادمة، أما الباقي فأنا قانع بتركه حيث هو. إن كان كان يعرف جيداً كل ما يتعلق بالأسهم والسندات. ١
وسأله ليزا وهي مندهشة من نفسها أذ أعربت صراحة عن تفكيرها:
[ماذا كنت ستفعل لو لم يترك لك أبوك في العمد ثروته؟]
[كنت سألجأ إلى الحل الوحيد أمامي وهو أن أسلم البيت إلى هيئة الوصاية الوطنية.]

١ وتظل فيه كزوصى ٩
[كلا فمن الصعب أن يبقى الوضع على ما هو عليه، فالسقف الذي يظل رأس الإنسان يجب أن يكون ملكه. كنت سأتركه إليهم كفه وأرجل عته، وأشرى شقة حديثة فيها تسهيلات توفر العمل.]
قالت أمه في جفاء: [كنت ستكره تلك الشقة، فأنت لا تستطيع أن تعيش محبوباً في شقة ضيقة.]
[كنت سأقتني منزلاً. في أي حال من الأحوال فالتشكك لم يثر ترك لي]
[كان ثروت يرغم - هذا الشيطان الكهل جعلني أنتظر عشر سنوات -]
وهزت اليسا رأسها وهي تقول:

١ ليست تلك هي الطريقة التي تتحدث فيها عن أمسان مات. فعل ماأعتقد أنه الأصوب. وتذكر أنه لم يرك منذ أن كنت طفلاً. وكل ما يعرفه عنك كان يجمعه يعتقد أنك فتى شرس لا يمتنع بركة الاحساس كما اعتاد أن يقول. وفي أي حال فإن الثروة كانت تشر أرباحاً طوال هذه السنوات، فكر في هذا. ١
[كل ما أستطيع أن أفكر فيه هو أن فارلي لم تكن بهذا السوء منذ عشر سنوات. بالطبع أنا متأكد أن أبحارني كمستفيد من ثروته، لكنه لو لم يكن عنيذاً ومصمماً على الايطا الأرض الانكليزية ثانية، لكان قد جاء ورأى بنفسه أنني كنت في العشرين قادراً على رعاية الأموال. فلما أنا قادر على رعايتها الآن.]

والتفت غيفاء بعيني ليزا وقال: [هاجر والدي في العمد إلى أمريكا لأن امرأة كان يحبها هجرت. ولم يعرف أنها أصدرت إليه بذلك معروفاً.]
قالت أمه وهي متمنصة: [إنك قاس في السخينة بإراد.]

مال عليها فجأة وقبل خدنها، وقال وهو يأخذ المقرش من بين يديها:
[لا بد أنك تمتعت من الكلام. ستحمل بوني إليك عشائك حالا. لماذا تبذلين هذا الجهد المظني في شيء غير ضروري. مثل النظر؟]
قالت اليسا وبرة الأرهاق يادية في صوتها:
[أنه ضروري. أخذت على نفسي عهداً بأن أكمله قبل...]
وتوقفت عن الكلام. وأكفهر وجه براد وهو يقول:
[أمامك متسع من الوقت.]

ورفعت رأسها إليه وهي تقول بركة:
[براد، لا تغاملي كطفلة. جعلت متبورات يخبرني بالحقيقة منذ أسبوع مضى، وما قدرة الله تتحدث. وليست خائفة.]
ونظرت إلى ليزا وأضافت:
[لقد أعطيتني مأدقة دائماً. وقد أحضرتها لي بسرعة لأنك كنت تعرف الوقت المتاح لي لأعرف إليها قد لا يكون طويلاً. فليباركك الله.]
وأخذت يد ليزا بين يديها ورشت عليها، ثم أضافت:
[والآن اذهبا وتناولوا شيئاً لمنعشاً قبل العشاء. وسأذهب إلى فراشي فور أن أنتهي من عشاءتي.]

وعندما تركا الغرفة، رآيا بوني أمة عبر الدهليز تحمل ضئيلة الطعام. ونظرت إليهما طويلاً، وفتح لها براد الباب وأومأ لها شاكراً حيث اختفت في داخل الغرفة. قالت ليزا يهدوء وهي تشير بجوار براد نحو السلم: [هل تعرف بوني؟]
[تعرف ماذا؟]

[عند...]
وهو كفيف وهو يقول: [أعتقد ذلك. فليس من الشائع أن ينام الزوج في غرفة الملايس. وأعتقد أنني يجب أن أحمد الله على أنها تعني هي نفسها بغرفتنا، وأن الحدم النهاريين لا يلمسون غرف النوم. على الأقل يصنعنا أن نثق بأن بوني ستحفظ السر لنفسها بما تعرفه. بل أنها تدرك ما يحدث لأمي لو شكت في أن زواجنا أمر مضطرب جداً.]

[خطأ من هذا؟]
[هل هذا بهم؟ أن اتفاقاً يبدو أنه يحقق الغرض تماماً.]

والجمها الاحساس بالعجل وهي تذكر كلمات اليسا في غرفة نومها منذ

لحظات قليلة مضت. أن هذا الخداع يغدو أصعب فأصعب. كيف يمكن أن يستمر فيه حتى.. وتوقفت عن التفكير فلم تكن تريد أن تصدق أن اليسيا يمكن أن سموت.

[لم تجبر أمك أبدا عن ذلك الشرط في الوصية.]

[لم أخبر أحدا عنه.]

[فيليسا فقط.]

وتوقفت عن النزول واستدار إليها حتى شد عليها الطريق. وكانت عيناها قاسيتين وقال: [لم أقل لأحد على الإطلاق. اكتشفت فيليسا ذلك صدفة.] فكرت ليزا بعمارة أن هذه المعلومات وصلت إلى فيليسا في الوقت المناسب. ويقدّر ما كانت تذكره تلك الشقراء الغائبة. كانت تعجب بها لرفضها الزواج من براد لقاء شروطها.

[لكم كان ذلك مؤمغا بالنسبة لك.]

[أن ذلك يتوقف على الطريقة التي تتظن فيها إلى هذا الأمر. وإيا كانت المعلومات التي أوردتها فيليسا فإن ذلك لا يمكن أن يغير حقيقة أنك زوجتي، وأن ذلك وجه يحقق رغباتك. وفي ما تعلق بالباقي فأنتي لا تستطيع أن امتنعك من التفكير فيه كما تريد. فانا لست ذكائورا إلى هذا الحد.]

٧ - مفاجأة في المدينة

كان العشاء في تلك الأمسية لطيفا. حتى فيليسا بدت مستبعدة. ولاحظت ليزا مرة أو مرتين أنها تنظر إلى براد وقد كسا وجهها تعبير غريب. وعند الانتهاء من تناول الحلوى، قالت فيليسا:

[سمعت من بوني أن العمال سيصلون غدا.]

ورد براد دون أن يرفع بصره من على طبقه: [نعم سيأتون غدا.]

وضعت فيليسا ملعقتها وشوكتها على طبقها بعناية وقالت:

[في هذه الحالة أعتقد أنني سأعود إلى منزلي في الصباح، فسيكون هناك جلبة وغبار في كل مكان حتى نهاية الصيف، وعلى خلاف ليزا فأنتي لا تستطيع أن ترحم مثل هذه الأشياء.] هذه المرة ارتفع رفس براد وفي عينيته تعبير غريب لم تستطع ليزا أن تفسره. فقال موافقا:

[ربما كان ذلك أفضل. فالحياة لن تكون لطيفة في فارلي.]

ويبدو أن الرد لم يعجبها. فقد تأملت بعينين ضاقت ما بينهما كما لو كانت تحاول قراءة ما وراء قوله الغامض وقالت:

[وماذا عن أمك؟ هل تتحمل الفضيحة؟]

[قالت، إن أي تأخير سيزعجها أكثر، فهي تريد أولا أن ترى فارلي آمنة قبل الشتاء.]

[قالت ليزا: [هل يمكن ذلك؟]]

[ستكون هناك صعوبات كثيرة. تمكنت من الحصول على الرجال الذين أريدهم.]

[بما في ذلك زيب بوب طومسون.]

[جيفري؟ نعم، إنه مثلهف على هذا، خافعة منذ أن أخبرته أن لدينا

NOOR

عمرها خمس وعشرون سنة في المكتبة ؟
 قالت لي في تلفظ : [هل لدينا فعلاً هذه الأعمال ؟ لم تقل لي ذلك
 بل تري المكتبة . هل اشتغل جيون فعلاً في فارلي ؟]
 قلت وأنت تري المكتبة . هل اشتغل جيون فعلاً في فارلي ؟
 وهو براد رأسه بانسامة خفيفة وهو يقول :
 أنا أشك في ذلك . لكن في أرواق الأسرة ما يفيد أن أطار المدواة حتى به
 إلى هنا من سوارى وأن اللوحين من أعمال جيون تم شراؤهما من بيت آخر
 ونقل إلى هنا [

[لكن ، هل هما بالتأكيد من أعمال جيون ؟]
 نعم . كان أعظم نخات للخشب في عصره ، وأعماله لا يمكن الخطأ في
 التعرف إليها فليس هناك إنسان آخر له مثل مقدرته ومهارته . [وقد دخلت فيليبيا
 في الحديث وهي تشعر بالضيق ، قائلة :] لم أكن أعرف أنك مسلمة بكل هذا .
 هل أنت خبيرة في مثل هذه الأشياء ؟]
 أنا ليست خبيرة في أي شيء ، ولم أزعج هذا أبداً . وفي أي حال ، فالخير لا
 يمكن أن يتأكد من شيء من دون المحس الدقيق ، وهو الأمر الذي قام به براد
 في عتابة .

ورفعت فيليبيا حاجبها ببرودة ، وقالت :
 أنا هل أرى في ذلك نوعاً من الغيرة ؟ أرى أن زوجك يابرد تنافسك في
 كل شيء .

[إن ذلك مضحك تماماً . أعتقد أن هذه الملاحظة فيليبيا لا مبرر لها .]
 قال براد في هدوء : [إنها تحاول أن تداعيك .]
 ووقف وهو يضيف : أنا سأتى بوني بالقهوة إلى الداخل .

كانت هذه الامسية طويلة للغاية ، ومليئة بالتوتر ، ولجست ليزا بالراحة عندما
 دقت الساعة في الردهة معلنة العاشرة ، فادعت أنها تعباً وصعدت إلى غرفتها
 وتركت الآخرين يتحدثون ، وهي تعرف أن براد سيقطع الحديث بعد قليل
 ويلحق بها حفاظاً على المفاهيم . وعندما وصلت إلى غرفة النوم ، أرتمت على
 السرير وهي منهكة . إنها متعبة أن تستلقي هناك في الظلام لا يعكره سوى
 وميض النار التي تخبئ تاركة جسمها يستعيد استرخاءه . لقد شعرت بمثل هذا
 في الكوخ ذلك اليوم ، فقد استرخت وأجست أنها مرتاحة . إن ذلك الكوخ

بالنسبة إليها ، مثل واجهة وجدها أنساناً تاه طويلاً في وسط الصحراء . هل كان
 ليوك جاداً في دعوته إلى رسمها ؟ وهل تدعه يفعل ؟ قد يكون مسلماً أن ترى
 نفسها كما يراها شخص آخر . إن ليوك لا يرسم صوراً شخصية مسطحة ، بل
 يرسم ما يترأى له . وربما لم تكن في حقيقتها كما يراها هو . لكن هل تجرؤ
 على القيام بهذه المغامرة ؟

وعندما استيقظت ، كان الظلام أشد ، وكان وميض المدفأة قد انطفأ تماماً .
 وجاهدت لتنهض وتنظر إلى ساعتها . كانت الساعة عشرة إلا ربعاً . لقد نامت
 نحو نصف ساعة ، لم يكن هناك أي نور يتسرب من عقب باب غرفة الملابس .
 أن براد لا يزال مستمراً في الحديث ، وأضاءت ليزا المصباح ، وتعمت لو أنها
 قامت بكل ما يجب فور صعودها . ولو فعلت ذلك لكنت الآن نائم على
 جنبها بدلاً من الاغتيال وتمشيط شعرها . وفعلت كل هذا مرغمة وعندما
 انتهت كانت قد استيقظت تماماً .

ومضت عبر غرفة النوم إلى طلاوة اللبس وهي تفك سحابة رداؤها أثناء سيرها
 وشابكت السحابة وتوقفت رافضة أن تنفتح ، وحاولت بنقاد صبراً أن تشد
 عرونها لأعلى لكنها لم تتحرك لم تكن الفتحة كافية لخلع الرداء ، وحاولت
 دون جدوى تخريك عروة السحابة فلم تفلح . ووقفت مرتبكة لا تعرف ماذا
 تفعل ، وتذكرت أن هناك بابين في خزانة الملابس الموجودة في غرفة الملابس
 فيها مرآة ويمكن أن يفتح أحدهما بطريقة معينة بحيث يستطيع الناظر أن يرى
 ظهره من خلال المرآة الباب الآخر . ولو فعلت ذلك لرأت الخلل الذي طرأ على
 السحابة وأصلحته . ودخلت غرفة الملابس بلا احتراش ، موقنة أن براد مازال
 نائم مع فيليبيا ، ومدت يدها لتشعل النور لكنها تجمدت إذ رأت شخصاً
 يتصب جالساً في المقعد . وساد صمت مطبق ليضع ثواناً ، عندئذ أضاء براد
 مصباحاً قريباً ونظر إليها بحاجسين مرفوعين وهي تقف في المدخل ، وقال لها :
 أعتقد أنك في فراشك . مضى أكثر من ساعة منذ أن صعدت إلى غرفتك .

أعقوت ، ولكن الوقت ليس كما قلت ، لقد انقضى .
 ونظرت إلى ساعتها وقالت : لا أوه ، لقد توقفت .
 [إن الوقت المضبوط هو الحادية عشرة والنصف . هل تريد شاي ؟]
 نعم . أفضد . لا .

وقفت مرتبكة ، وهي تلاحظ اختراز عضلات كتفه البرونزية وهو يحرك ذراعه

وأحسنت أنه من الغريب أنها تزوجت منذ عدة أيام ولم تكشف إلا الآن أن زوجها يتام نصف عار:

[إن عروة السحابة ترفض أن تتحرك. وكنت أريد أن أستخدم المرايا المزودة لأرى الخلل وأحاول إصلاحه.]

[هل هذا هو كل ما في الأمر؟ تعالى وسأفحصها لك.]

وبمجهود شاق تغلبت ليذا على الرغبة في أن تعود إلى الغرفة الموجودة خلفها وتحركت ببطء إلى الأريكة. فقال لها:

[اجلسي قلبي أصبل إليها هكذا.]

وأخذت تنفسا عميقا وأضاعته وجلست بظهرها على حافة الكنبه وجسمها مشدود كوتر القوس إلى بعد أن فحصها مرعبا:

[إن جزءا من قماش الثوب دخل بين أسنانه وكسرت ستة أو اثنتان نتيجة للشد، هناك طريقة واحدة لإخراجك من هذه المشكلة.] وشد الثوب بقوة فمزقة.

فقلت ليذا بخدة: [هل كان ذلك ضروريا؟ كان في استطاعتك تخليصها دون أن تمزق الثوب.]

ونظر إليها ببرود وهو يقول:

[أعتقد أنني كنت أستطيع ذلك فعلا، لو كنت تريد أن تمددي أمانتك هنا نصف ساعة. هل أن الأمر مهم لهذا الحد؟ نستطيع أن نشترى بدل هذا الثوب عشرات الأتواب. لا تهتمي.]

ثم قسا صوته وهو يقول:

[أم أنك تعتبرين قبول تقود مني أمرا خارجا عن قواعد اللعبة التي نلعبها؟]

فالت ليذا وهي لا تبدو حراكا: [ليست لعبة بالنسبة لي.]

[ماذا إذن؟ من الصعب أن نسمي اتفاقا وضعنا طبعيا للأموز بين زوجين.]

[ليس هناك شيء طبيعي في زواجنا يا زاده، لا شيء طبيعي على الإطلاق. خدعتني بزواجك مني لسبب واحد، سبب واحد فقط، وأنا لا أعتبر نفسي حرام من حيثة.]

ونظر إليها في صمت وذراعاه مستندتان إلى ركبتيه. ومألها:

[ما الذي شغلك لو كنت مكاني؟]

[أكون أمينة في كل شيء، وأقدم العون في مقابل ما قدمته. لقد كنت تعرف كم كنت في حاجة إلى خمسمائة جنيه، وكنت على استعداد للبحث في اقتراحك.]

[كفي عن الخافق. أنت لانتفاسين أكثر مني باليزا. لو كنت ذكرت لك ذلك الشرط في الوصية لأنقبت بأعينك ريك للسباع وهربت الأمر نفسه لو كنت وجدتي غير جذاب كلية. إنك لم تزوجيني من أجل ريك فحسب. لقد أتاحت لك حاجته عذرا رائعا لتجاهل العهد الذي قطعته على نفسك بشكريس حياتك له، وجعلك تطيرين فرحا. كلا يا غروسي الصغيرة، أن الحاجز بيننا هي من صنعتك أنت فقط.]

ونوقف قليلا ثم قالت:

[ماذا كنت تتوقعين؟ هل تعتقدين حقا أنني ل أعرف أنك تحبيني حقا.]

[هذا شيء افترضته أنت لنفسك، ولم تذكر، فإن كل ما قلته هو أنني أجدك مرغبا، ومازلت أراك هكذا.]

ولم يرفع عينيه عن وجهها للحظة. ثم أضافت:

[وقلت أيضا أن الحب يمكن أن يتحول فهل ترى أن هذه الصورة الزائفة من الزواج تتيح أي فرصة لذلك. أن طريقتك نادرا ما تنجح. فالحب يقوم على

الحبل وليس على الرغبة.]

[وأنت لا تحبيني؟]

[أنا أكرهك.]

[حسنا، تلك عاطفة إيجابية جيدة. إن لك إحساسا مرهقا بالدراما باليزا. لكن لمصالحك عليك إلا تالماني في الدور الذي تختارين القيام به. ذلك أن حل عقدة المسرحية قد لا ينجي على النحو الذي تتوقعين.]

ونظر إلى الساعة الموجودة على المائدة الموجودة بجواره وهو يقول:

[ربما كان من الأفضل أن نذهبي إلى فراشك. فلدنيا يوم مشحون غدا.]

وتركته دون أن تنطق بكلمة، وأغلقت الباب بينهما وأدارت المفتاح في القفل.

وفي بداية اليوم التالي، ثبت أن تنبوء اليسا في ما يتعلق بالجو كان مصيبا. كان الصباح جميلا وجافا ومبشرا بالدفء. ورحلت فيليسيا عقب الغطار

منه في ساحة أجرة كان براد قد طلبها في الليلة السابقة. ولم يحرص ليذا
 من أن يخرج إلى السيارة لتوديعها لأنها أحست أنها ستكون منافقة لو أذعت
 أن هي قس لم يسب لها إرتياحا. وبعد ربع ساعة وصلت طليعة جيش
 إلى عرلى. كانوا ثلاثة يشكلون فريقا كثفوا للغاية. وفي وقت قصير
 جميع كثر منهم وأدخلوها إلى البيت.

خلال في أربعة ونشروا قمشا مشعرا ضجعا ليحموا الأرض. ثم وضعوا
 حديد حديد لتشكل طريقا فوقها. وغطوا الجزء العلوى الأفقي من درج
 حديد حديد خشبية لحماية الحلي المعمارية من أي تلف محتمل عند نقل
 حديد حديد ، وثبتوا متارة من ألواح الخشب على الجانب الداخلي من
 حديد حديد برفق وفي حتى لا يتلقى عتبات حديد ، وبعد هذا تفقد
 حديد حديد في الجناح الجنوبي لتغطية الجوانب المعمارية وتثبيت
 حديد حديد المتصلة المبينة بالجدران للزينة ، كل ذلك على أساس أن يتم
 حديد حديد هذه البنود في مرحلة تالية بعد الاصلاحات الهيكلية . كما
 حديد حديد من الغرف التي ستزج أرضيتها إلى غرف أخرى ،
 حديد حديد الجولوس تدريجيا مليئة بتشكيلة من الأشياء ما كان يمكن أن
 حديد حديد . وعندما خرجت بوني من المطبخ وواجهت مشهد الاضطراب
 حديد حديد كادت أن تبكي وقالت ليذا وهي تقدم لها فنجانا من القهوة :
 حديد حديد يعلم متى سينتهي من هذا ، لم أكن أعتقد أبدا أن مثل هذه
 حديد حديد

أحس أن يكون الاضطراب الحقيقي لم يحدث بعد ، ولو كنت مكانك
 حديد حديد كلبية حتى ينتهي هذا . على الأقل حتى ينتهي
 حديد حديد . ومن الواضح أن القصر الأساسي من العمل الذي يتم فوق
 حديد حديد الجنوبي الشرقي بل أن بعض الغرف لن تجسأ
 حديد حديد

وجد راد وهو يقول : [هل هناك قنح لي يا بوني ؟]
 حديد حديد له الصبية :
 حديد حديد أن أتناهى سيد البيت ؟ سأخذ الانداح الباقية لهؤلاء
 حديد حديد

وأومات نحو غرفة الطعام وأضافت :

[هناك طبق من البسكويت على المائدة لكما]

وعلى براد بعد أن مضت مدبرة المنزل بقوله :

[أعتقد أن الرجال هناك يفضلون شيئا آخر غير القهوة . سأرتب لهم غدا

لو بقي شيئا دافئا مثلما هو الآن]

ومضى إلى عيني البسكويت وأخذ واحدة واستند إلى حافة المائدة ليأكلها ،

ونظر إلى حيث تقف ليذا عند الباب وسألها : [هل تريد شيئا تأكلينه ؟]

[القهوة كافية تماما]

وبعد صمت قصير كانت خلاله تدرك أن عيني مركزان عليها وسأله :

[لماذا اخترت الجناح الجنوبي لبدأ العمل فيه ، أعتقد أن الجزء الأقدم من

البيت يستحق الأولوية]

[حسب الفواهر أنت على حق ، لكن ما نسيته هو أننا نعيش في الجناح

الجنوبي وكما أصرغنا باستئناف حياتنا فيه على نحو مريح كان ذلك أفضل ،

وفور أن ينتهي العمل في هذا الجزء من المنزل فانا نستطيع أن نكرس الوقت

اللازم للباقي]

[فهمت . كان سؤال غييا ، أليس كذلك ؟]

[لنقل أنه ليس من نوع الأسئلة التي أتوقعها من شخص ذكي مثلك ، لماذا

تشرعن دوما أنه ينبغي عليك القيام بواجب المتحدث معي ألم تسمعي بصمت

الرفقة ؟]

[ذلك يكون بين الرفاق الحميمين . ونحن يصعب اعتبارنا كذلك]

وترددت قليلا ، ثم استطردت قائلة :

[أعتقد أنني لن أكون مطلوبة هنا في الاصيل ، ولذا فكرت في أن أذهب

إلى سكيتون وألقي نظرة على المنطقة]

فهر كتنفيه وقال : [عذري السيارة لو كنت متوجهين إلى المدينة ، فخدمات

الاتوبيس لايعول عليها كثيرا]

[كيف عرفت أنني يمكن أن أقود سيارة ؟]

قال وهو ينهي قهوته وينجي القنح جانبا :

[قلت لي ذلك مرة ، سأذهب إلى المكتب لواحدت إلى شيء]

ومضى عبر الدهليز الذي يقضى إلى مملكته الخاصة.

أحست في ذلك قهقهة، وهي تفكر. قالت لنفسها إن براد يسمى تفسير
كلمة اتصالها. ربما لم ترد الذهاب إلى سكينون على وجه الخصوص، لكنه
كان ينبغي لها أن تذهب إلى مكان فيه خواتم. فقد عثرت ميلاد براد، وليس
لديها شيء تقدمه إليه.

وبينما كانت لا تزال واقفة هناك، رن جرس الهاتف بصورة خاطئة مزعجة.
وتوكلته براد، لأنها تدرك أن براد سيرد عليه من خلال الجهاز الموجود في
مكتبه. وبعد لحظة سمعته ينادى عليها من باب المكتب، قائلاً:

[ليذا، أنه لك إنه ريك.]

[شكراً، سأأخذ المكالمات من هنا.]

وجاءها صوت أخيها المألوف على الخط: [كيف الحياة الزوجية؟]
وأفركت ليذا أن براد ربما يكون يستمع من خلال الجهاز الموجود أمامه،
فقلت: [جميلة.]

إن براد ليس في حاجة إلى أن يخشى أن تقول لريك الحقيقة، برغم أنه لا
يمكن أن نلبأ بالاذلال الذي عانته على يديه. وأضافت قائلة:

[وأنت كيف أحوالك؟ هل أنت على ما يرام؟]

[بالتأكيد. لا يمكن أن يكون الحال أحسن مما هو عليه. لقد وجدت
مقهى صغيراً رائعاً يقدمون فيه طعام الإفطار في كل صباح من أيام السبت.]
أعدا ذلك، ماذا تفعل؟

[إلى أنصرف. قول لي لماذا بدا زوجك معك المزاج عندما رد على الهاتف
هل تشاجرتما؟]

[كلا. ماذا فعلت عندما بدأ مراجع الحسابات التدقيق في مستندائك؟]

[لا شيء، حدث الأمر يبدو وكأنني أردت تنظيم الارتباك الذي حدث في
الدفاتر. أتى عندما قمت بهذا اكتشفت خطأ فيها وأصلحته باتخاذ الخطوات
الضرورية والسليمة. إنهم حمقى!]

قالت ليذا لنفسها أن هذا هو ريك، وأن تلك هي فظافته. أنه إنسان فاسد
وأثاني وغير ناضج. ومثلته بصورة خاطئة: [ريك، لماذا اتصل بي؟]

وبدا في وجهه منهشة من البرود الذي اتسمت به نبرتها، وقال:

[لماذا؟ لأنني أردت الاطمئنان إليك ماذا غير ذلك؟]

كانت ليذا تستطيع أن تذكر له أسباباً وجيهة لاتصاله، لكنها امتنعت وأبقت

الحديث متصلاً للدقائق الأخرى، وتحدثت متعمدة عن المنزل وما سيقعلونه فيه،
حتى أحست بأن الضيق والمثل بدأ ينتابانها. وأخيراً قال:

[يجب أن أنهى المكالمات، فصاحب العمل قد يبعث في أية لحظة.]

ومثلته منهشة: [هل تتكلم من المكتب؟]

[بالطبع لأجمل صاحب العمل بتحمل قبسة المحادثة، مادام أنه يسرقني
بهذا الأمر الزعبد الذي يدفعه لي في أي حال سأبقى على اتصال بك
بالبراد.]

وفي الساعة الثانية خرجت بالسيارة من البوابة الرئيسية وهي تشعر بالارتياح
والاسترخاء. أن الاصيل يمد أمامها، ولها أن تفعل فيه ما بدا لها، وهي تستعمل
ذلك على وجه الدقة. وفكرت في أنها ستسوق أولاً ثم تتناول الشاي في
مقهى صغير خادىء. إذا استطاعت أن تجد واحداً من هذا النوع، ثم تصكع
لأطول مدة ممكنة قبل أن تعود. واستمعت بقيادة السيارة إلى سكينون، مرت
بالريف ومناظره الجميلة من مراع وأشجار وحقول للقمح.

وعندما وصلت إلى المدينة أوقفت السيارة في موقف السيارات، ومضت
تجول في الشارع الرئيسي وتفرج على توافد العرض بما تحويه من عروض
جاذبة للسمع. وفكرت في أنه سيبدو أمراً غريباً أن تفشل زوجة في الاحتفال
بعيد ميلاد زوجها بعيداً مناسبة، لكن أي نوع من الهدايا تستطيع أن تشتريه
لرجل لا يزال في نظرها غريباً. واشترت شرة من القماش الكشمير الناعم،
فلذلك اختيار آمن وأن افقر للخيال، وحملت اللقطة إلى السيارة، وعندئذ
أحست أنها أصبحت حرة لتركز على استمتاعها هي شخصياً.

وجدتها بتأية قرية قديمة فدخلت فأملت بأعجاب ما بها من آيات الفن
كان المكان يسوده الهدوء والسلام، والاحساس بالانقطاع والعزلة عن العالم
الخارجي فمكثت فيه لفترة. وخرجت إلى ضوء الشمس ثانية، ونظرت إلى
ساعتها فوجدت أنها الرابعة. تبخر الوقت في هذا الاصيل، ولم تر كل ما
تحويه المدينة. كانت تنوي أن تلقى نظرة على القلعة الموجودة فيها، لكنها لو
رغبت في شرب الشاي فيسكون عليها أن تنتظر ليوم آخر لترى القلعة. ووقفت
رجل على الجانب الآخر من الشارع عندما رأى ليذا في يدها الكنتاني وهي
تقف وحيدة أسفل سلاسل الكنيسة، وارتسمت على شفاه ابتسامة وهو يغير
اتجاهه ويمضي نحوها. ووقفت إليه ليذا بصورها محدقة عندما سمعته يقول

بهذه: [لم توقع أن أراك في المدينة هذا الصباح.]

وضمخت في نهشة [ليوك.]

ووقفت لا تحرك ساكنا تحديق فيه وأخيرا سألته:

[ماذا تفعل في سكرتون؟]

[أشتري مواد جديدة. فأنا أجيء إليها مرة في الشهر لهذا الغرض.]

[هل أنت وحيدك؟ نعم؟ جفت لشراء هدية ليزا. فعيد ميلاده غدا.]

[حقا؟] وأخذ يتفرس فيها مليا، ثم قال:

[تعالي وتناولى بعض الشاي معي. هل يجب أن تعودى الآن؟]

أبتسمت له وهي تقول:

[كلا. وأجب أن تناول الشاي معك.]

وبعد خمس دقائق كانا يجلسان إلى مائدة لشخصين في محل لتناول الشاي في أحد المتاجر الخلفية، لم تكن نيرا تهتدي إليه وحيدة. كان مكانا سائرا نظيفا لأقصى حد مليئا بأحواض الزهور على الموائد. ومضى ليوك ليطلب الشاي والبسكوت ثم عاد وجلس يتشم ويقول:

[أنها متاسة شديدة، إذ لم تنج لي فرصة أن أعود سيدة حميدة مثلك إلى الشاي. خل لديك فكرة عن مدى سعادة إنسان مثلي عندما يحس بأن كل الرجال في صالون الشاي يجسدونه على ذلك؟]

ضحككت ليزا وهي تقول:

[هنا رجالان فقط أنت واحد منهم. في أي حال أنت لست كبيرا في السن إلى درجة تجعلك تتحدث على هذا النحو. الا يقولون دوما أن الحياة تبدأ بعد الأربعين؟]

واختلجت عيناها ضحاة وهو يقول:

[ربما، لكنني في الخامسة والأربعين.]

[حقا، لا تبدو كذلك.]

[أشكرك.]

وجاء الشاي وضمتا كلاهما حتى مضت السافية. وسألته ليزا وهي تصب

الشاي: [أين كنت تعيش قبل أن أجيء إلى الكوخ؟ إنك تبدو كأهل الجنوب.]

[نعم أنا كذلك ولدت في كورتوال في مكان اسمه موليون كوف ربما

تعرفينه.]

[نعم أعرفه. أفضيت أجازة على ذلك الجزء من الساحل منذ ثلاث سنوات.]

[لماذا جئت إلى الشمال؟ هل استقطبت المناظر هناك؟]

[نعم، إلى حد ما. كنت في حاجة إلى التغيير. تغير درامي.]

[لم أكن دوما فتانا متفرغا. تفرغت منذ ثماني سنوات فحسب منذ أن جئت إلى ديلسي.]

[ماذا كنت في كورتوال.. أقصد ماذا كنت تفعل هناك؟]

[كنت أدير فندق العائلة. وقد بعته عندما ماتت أمي وجمت إلى هنا.]

[وفعلت ما كنت تخلم بأن تقوم به؟]

[نعم، فالروابط العائلية يمكن أن تكون قيда قاسية. مات أبي عندما كنت دون العشرين. ولم تكن أمي تستطيع أن تدبر الفندق، فعدت إلى بلدي وركبت الكلية باختيارى، لأنني لو لم أخط مكان أبي لأجبرتها على التخلي عن الفندق وهو الشيء الوحيد الذى تهتم به فى الحياة. ومن دون أن أدعى النيل والشهامة، لم يكن هناك سوى طريق واحدة جديدة باختيارى.]

[ألم يكن في إمكان أمك أن تستأجر مديرا؟]

[شخص أجنبي؟ لم تكن أتوافق على ذلك أبدا. أن الغرياء لا يتمتعون إلى عالم أمي إلا باعتبارهم نزلاء يدفعون. لقد كانت سيدة غريبة في عدة نواح، وفي أحيان كثيرة كنت أفكر في أن أتركها. لكن الدم كان يثبت دوما أنه لا يمكن أن يتحول إلى ماء عندما يجد الجسد.]

[لكن هل توقفت في ذلك الحين عن الرسم؟ من المؤكد أنك لم تغمض كل هذه السنوات دون أن تلمس الفرشاة.]

[كلا، لم أتركه. فلم أكن أمتطيع ذلك. كنت أمضى كل وقت فراغى أرسو اللوحة، ثم اللوحة. وأن الرسم فى دمي. لأكون سعيدا حقا ما لم تكن الفرشاة فى يدي واللوحة أمامي. معظم الناس لا يفهمون هذا النيل. أتفهمونى بأنى أضيع حياتي فى الاضلام. وكنت أحيانا أتساءل هل يمكن أن يكونوا على حق.]

[هل يمكن أن يكون الشيء الذى يحقق السرور والسعادة قضيبا للحياة؟ لربما رائحة باليوك. ورغم أنى لأدعى معرفة كثيرة بالنفس، فإني أؤمن أنها

تكشف عن موهبة رائعة.]

NOOR

وجد به ولمس خدها برفة ، وقال : [أن أعرف أنك تقدرين وضعي باليواء]
 فنظرت إليه في وجه وهي تحبس مرة أخرى بمدى التقارب بينهما برغم فارق
 السن . كانت تخمن أن لقاءها مع ليوك بعد يوم من المشاعر المتوترة التي يشيرها
 براد ، يجعلها تشعر كمن وصلت إلى ملجأ آمن بعد عاصفة عاتية . أن فيه كل
 ما يقتدر إليه براد فهو خنون ومتفهم وغير معقد لم يكن بعيدا في حياته
 منذ الفترة التي أنجزها عنها ، وهي واقعة بأنه كانت لديه متاعب أخرى لم
 يطلعها عليها لكنه الآن طرح كل ذلك وراء ظهره لأنه يريد شيئا واحدا ، أن
 يرسم وحدته على تلك الفترة الدافئة التي تحميه ويحاطل كل الاعتبارات
 الأخرى ولا يبالى بها .

٨ - شارل وهيلين

كانت الساعة قد جاوزت السادسة ، عندما غادرت ليزا إلى قارلي . وكان
 المنزل ساكنا فقد ذهب العاملون بعد أن أنهوا ما جاءوا من أجله ..

وعندما ذهبت إلى غرفة النوم كان باب غرفة الملابس موصدا ، خلعت
 سترتها وعالفتها في الخزانة . وأخذت منه ثوبا لترتديه في المساء وأخلقت بابه
 وعندما استدارت وجدت براد يقف في مدخل الباب المقابل :

[وأخيرا حضرت أين كنت كل هذا الوقت ؟]

وتساءلا بينهما وبين نفسيهما عما سيقلعه لو أنها أخبرته الحقيقة وهي أنها
 كانت مع رجل آخر كل هذا الوقت ؟ من الوقت سريعا مع ليوك في ذلك
 المقهى الصغير . لقد ناقشنا كل شيء ماعدا ما يتعلق بها ، وقد أبدى ليوك
 لباقة فيما يتعلق بشؤونها ، وقالت :

[تحولت في المدينة ، هل من الضروري أن أقدم لك تقريرا عن كل دقيقة
 أمضيتها خارج البيت]

وتقلصت شفاهه وهو يقول :

[ألم يخاطر بالك أن يمكن أن ألقى عندما لا تعودين في وقت تناول الشاي]

[؟]

[كلا ، لم يخاطر في بالي ذلك على الإطلاق ، هل كان علي أن أفعل
 ذلك] ؟ . وتحولت عنه في محاولة للتهرب من نظراته ثم قالت :

[لا أدري لم كل هذه الضجة ؟ الوقت مازال مبكرا على موعد العشاء]

[مستعشى في الخارج ، شريكى وزوجته يريدان رؤيتك]

واستاءت ليزا من ذلك . كانت تأمل في أنه بذهاب فيليسيا لن تضطر إلى
 هذا التظاهر الذي تكرهه كثيرا . ومأاته : [هل يجب علينا الذهاب ؟]

NOOR

[نعم ، الواقع ان شارل طلب مني ذلك أمس ، لكن كثرة المشاغل أنستني الموضوع حتى هذا الميناء]

[تستطيع ان تحصل به هاتفي وتقول له انني أشكو من صداع]
ولم تسمعه وهو يتحرك - فجاء وجدت يده على كتفها وهو يديرها لتواجهه وقال :

[ليذا شك لن تقابلي شارل وهيلين الليلة فحسب لكنك ستجعليهما يعتقدان ان زواجهما ممتاز]

[لماذا ؟ ماذا يهم ما يعتقدونه ؟ وافقت على التظاهر من اجل أمك فقط وليس للحفاظ على كبريائك الغالية]

وتقلعت يده المسكة بكتفها على نحو ألمها وانغرزت أصابعه في لحمها وهو يقول بحفاة :

[لا تدفعيني الى الغضب]
وظلت صامدة تحدد فيه وقفاة تركها تلذذ وهو يقول لها :
[غيري ثيابك سأراك تحت خلال نصف ساعة]

ولم يستغرق حمام ليذا وارننداؤها الثوب الاسود الذي ارتدته في أول أمسية قضيتها مع براد موى خمس وعشرين دقيقة - كانت آثار أصابعه لا تزال باقية على كتفها لكن الثوب غطاها - وعندما تأملت صورتها في المرآة وهي تنشط شعرها شاهدت برقاً غريباً محسوساً في عينيها - وعندما مضت في الدليل نحو السلم كان براد يتحدث في الهاتف في الزددة وكان صوته يصل الى مسامعها بوضوح وسمعته يقول :

[لا اتصلني بي هنا يا فيليسيا لو اردت الاتصال فليكن في المكتب]
ووقفت ليذا متمصرة في مكانها وهي تحس بالاختناق - لابد ان هناك شيئاً بين زوجها وبين تلك المرأة - وشملكتها غضب جارف ، قال لها العبي هذا الدور من أجل أمي لأنها يجب ألا تعرف الحقيقة - لكن ماذا سيكون الوضع لو أن اليسا اكتشفت ارتباطه المستمر بفيليسيا ؟ ألن تقضي عليها هذه الضربة ؟ وسارت نحو السلالم - كان براد قد وضع سماعة الهاتف وجاء لثقتها وأخذ معطفها منها ليساعدها على ارتدائه ولامست يدها كتفها وقال :
[ليذا صديقي أو لاتصديقي لقد قلقت عليك هذا الأصل ودارت في خاطري كل أنواع الحوادث]

[الحوادث التي أصابني أم التي أصابت السيارة ؟ أعتقد أنك في عجلة]
[حسناً فلنذهب]

كان شارل وهيلين يمشيان في شقة في عمارة ضخمة حديث في ضواحي برادفورد ، وجاء شارل الى الباب ليترحب بهما ، كان أصغر من براد بثلاث أو أربع سنوات ، قال لهما وهو يأخذ أشياءهما :

[هيلين في المطبخ تضع اللبسات الأخيرة]
وسمعا صوتها يقول : [كلا ، لقد أنهيت]

واستدارت ليذا لترى فتاة طويلة هيفاء تسير اليهما - كان لها وجه جميل محب كائذي ينشر على غلاف المجلات ، توجه شعر ذهبي ناعم - قالت :

[براد كيف تجرؤ أيها الحصان الأسود الكهل على أن تكتم الأمر وتتزوج دون أن تخبر أحدا ؟ أنت تعرف كم أحب حفلات الزواج ؟]

وابتمست ليذا وهي تمسك يدها وتقول :
[إني مسرورة حقاً لزواجه ، كنت أخشى أن يصبح عازباً عجوزاً]
رد براد قائلاً :

[ناديتي بالعجوز مرتين - ويجب أن يكون طعامتك جيداً على نحو يرضيني عن ذلك]

تجمدت أنفها وهي تضحك في وجهه ثم سحبت ليذا من يدها الى غرفة الجلوس المزينة على نحو رائع وهي تقول :

[سمعت ان بيننا شيئاً مشتركاً فأنا من الجنوب أيضاً - من كنت في الأصل ، لكنني عشت في لندن عامين]

وجلست ليذا قرب مضيقها في كرسي منخلط وهي مهتمة بما قالته وسألت : [هل أنت من هناك حقاً ؟ ماذا كنت تفعلين ؟]

وردت هيلين بإبتسامة دافئة ساحرة :

[كنت عارضة أزياء - لم أكن من أهل القعة في هذا الصدد لكنني كنت أقوم بعمل على نحو يلقي التقدير ، حتى جاء رجلي هذا فاقطع الصورة ونومني مغناطيسياً وجعلني أعتقد أنني بلغت من العمر جداً يوجب علي أن أقضي بقية عمري في المطبخ]

وجاءهما شارل بقدرتين من شراب مثليج وهو يقول :
[كان هذا بالطبع حقاً وصدقا - فليس هناك أسعد من امرأة يستعيدنا رجل]

يبدو أن رغبته في سيطرة الرجل عليها تولد فيها [

قالت هيلين وهي تنظر ليزا وتشير إلى شارل :

[إنه الشخصاني النفسي المقيم : إنه أحيانا يصور نفسه في صورة الانسان الأول بمسك هراوة ويرتدي جلد دب ، لكن لا تدعيه يحدك ، فهو جميل ودبيع حقا ، إن كل الرجال يجمعون بلا طعن ...]

فرد عليها شارل محاولا إقارنها :

[هل عرفت كثيرين منهم لتحكمي عليهم ؟ ذلك ما أقوله دائما هو أن النساء نلن قدرا من الحرية أكثر من اللازم في هذا العصر . هنا أيتها المرأة ذهبي إلى غرف غسل الصحون وأعدي للسيد وجبة قبل أن يخلدك]

[شاهدنا مسرحية ترويض النمرة الأسبوع الماضي ، ويبدو أن الفكرة الأساسية فيها انتهوت فقد أصبح يقضي كل وقته أمام مرآة الحمام يتدرب على الزمجرة والصياح]

ونبهت وهي تقول :

[عذرا سأغيب مرة أخرى ، فأنا أعد صلصة خاصة تستخدم مع السمك ويجب ألا تحضر إلا في آخر لحظة]

سألت ليزا :

[هل أستطيع معاونتك ؟]

[شكرا ، إن كل شيء معد ، لكن تعالي لتتحدث معا لو رغبتي . فأنا أتوقع أن ينهمك زوجانا في الحديث عن العمل]

وتجهما شارل وهما يتجهان معا عبر العرفة إلى الباب بالاتساع على شفتيه وهو يقول :

[إليهما كاثيل والتهار ، يكونان لوحة . ألا تعتقد هذا يا براد ؟]

أجاب الآخر باستخفاف :

[أنا أفضل أن أقول ضوء الشمس والظل ، ولكني أنهم ما تغيبه ، فهما من شدة التناقض بينهما لدرجة الكمال]

صاحت هيلين وهي تقول :

[كل هذا الاطراء يسرني ، إن كلا منكما يدرك كم هو محفوظ . العشاء سيكون جاهزا خلال عشر دقائق]

تحدث ليزا عن إعجابها بالطبخ العصري لهيلين وقالت :

[لو جاءت يوني إلى هنا فستحس أنها في تيم]

وبدأت هيلين في إعداد الصلصة وهي تقول :

[رأيت المطابخ في فارلي . فهمت من براد أنه وضع خطة لتجديد كل ما هو قديم ، خاصة في المطبخ ، وإجراء الاصلاحات اللازمة في المنزل كله]

[نعم سيفعل ذلك ، وسيركز هذا اساما في الجناح الجنوبي قرب غرفة الطعام تماما . وسيأخذ يوني إلى ليدر في الاسبوع القادم لتختار مايناسب المطبخ]

وتطرت إليها هيلين وهي تقول : [وماذا عنك ؟ أليس لك رأي في هذا الموضوع ؟]

[المسألة لا تؤثر علي حقا . يوني لطيفة جدا لكنها تود ألا يتدخل أحد في شؤون المطبخ الذي تفضله على نفسها . وفي المرة الوحيدة التي عرضت فيها المساعدة قالت لي أن براد قدم لها كل العون الذي تريده وأنه ليس علي أن أضع نفسي بإدارة المنزل]

[إن ذلك يسر معظم النساء ، فأني عمل متولي متعب]

وابتسمت ليزا قائلة :

[أعتقد أنه يكون كذلك لو كان القيام به كل يوم . ولست أطلع إلى هذا ، فأنا أحب الطبخ فحسب]

[حسنا ، هناك متسع من الوقت لتعليم يوني أن تقبل نظاما للأشياء يختلف قليلا ، فقد اعتادت أن تتولي كل شيء نظرا لمرض والده براد وبالمسألة كيف حالها ؟]

[أفضل كثيرا . جلست في الحقيقة لمدة ساعة هذا الصباح ، وقال الطبيب إنها أقوى مما كانت]

[السبب في هذا واضح تماما . أعتقد أنها كانت تنك في أن براد سيتزوج يوما ما . لا بد أنها فرحت عندما رأته . إن زواجكما هو بالفعل رواية نروى وقصة تحكي ، أليس كذلك ؟ أن تقبلي رجلا ذات يوم وتقبلي أن تتزوجيه في اليوم التالي لهر أمر غريب حقا]

[نعم كان براد مختلفا تماما عن أي رجل لقيت من قبل]

[حقا انه عظيم . إنه أعظم من رأيت بعد شارل طبعاً . كان أفضل رجل في حفل زواجنا . وأعتقد أنه كان من الحكمة بالنسبة لك أن تتزوجي في

لذات يهدوء مثلما فعلت - فربما لم تكن السيدة نورثون تستطيع أن تتحمل
اجتهاد حفل الزفاف]

وأجبت ليزا بأن هذه فرصة مواتية لتغير الموضوع ، فقالت :

[كلا ، هل تزوجت منذ وقت طويل يا هيلين ؟]

وتلاعبت على شفتي هيلين ابتسامة وهي تقول :

[منذ ست سنوات ، وكنا نتوي أن يكون لدينا ثلاثة أطفال خلال تلك

الفترة ، لكن الأمور لم تسر على النحو المرغوب ، هل تخمين الأطلاق يا ليزا ؟]

خلعت وهي تقول :

[لم أفكر في الموضوع حقا ، ولم يكن لي إحساس كبير بالأطفال]

[كنت أكبر اخوتي بشعني سنوات - وكنت أكره السخافات التي يقوم بها

أطفال الأسرة ، كانوا يصرخون ويخربون ولا يهدأون ، وكان علي أن أعتني

بهم ، كنت دائما أقسم بأنني عندما أتزوج فلن أنجب أطفالا على الإطلاق ،

ومع ذلك فإن تغير الانسان لأفكاره أمر يدعو للدهشة]

وعندما انتهت هيلين من اعداد الصلصة قالت :

[أصبحت جاهزة سأخرج الشمام من الثلاثة ثم ادعوهم]

كانت المائدة في غرفة الطعام الملحقة بمعدة على نحو رائع وفي وسطها

شمعدان يلقي ضوءا رقيقا يوحى بالألفة ، قال شارل :

[لم كل هذه الجلبة ؟ أنا لا أرى سوى الحرص على الاشياء الرومانسية

التي تثبت النساء بوجودها عند تناول الطعام]

وأجابت زوجته دون أن تتردد :

[لأننا مخلوقات رومانسية يا عزيزي ولن نستمتع بطعامك إلا بهذه الطريقة

، المرأة العنصرية هي مصدر إزعاج لا ينتهي لك شخصيا]

[لا أعرف لابد أن يكون هناك ما يعوض ذلك مثل أن أثمر على جواربي

بدلا من تمضية معظم وقتي وأنا أفتش في الادراج على جورب كامل]

وردت هيلين قائلة :

[تفاصيل ، تفاصيل ، دائما تفاصيل]

وأجبت ليزا بأنها تحسد هيلين ، هكذا يكون الزواج عندما يسترجع الزوجان

وتفاههما على نحو كامل مثلما تفعل هيلين وشارل ، إنهما لا يتبادلان الحب

فحسب بل متفاهما أيضا ، ورفعت عينها لتختلس نظرة إلى براد الذي كان

جالسا أمامها عبر المائدة ، وشرعان ما تمتلئ لو أنها لم تفعل ذلك فقد رأيت

السحرة في نظريته ، من الواضح أنه قرأ أفكارها مرة ثانية ، ونظر شارل إلى

زوجته مبتسما وهو يقول :

[إنه احتفال كبير ، ليس كذلك ، الواقع أنه حفل مزدوج ، بداية

زواجكما واكتمال زواجنا ، فقد تأكدت أمس أنه هيلين حامل]

وردت هيلين بلهجة لائمة :

[علا الثرمت الهدوء يا عزيزي ولا تغتد مثل هذه العجبة حول هذا

الموضوع غير المشوق ؟]

[أنا أؤمن بتسمية الأشياء بأسمائها ، وليس هناك أي شيء خطأ على

الاصطلاح فيما يتعلق بكلمة حامل ، كيف تريدني أن أعبر عن هذا ؟ بأن

أقول ذلك الكلام الأحمق عن أنه سيكون لدينا ضيف صغير في البيت ؟]

[أريدك أن تعلم ذلك بتعبير راق]

قال براد مبتسما :

[تهانينا ، ماذا تريدان ؟]

أجاب شارل بسرعة :

[أربعة توائم من نوع واحد ، فريدهما مرة واحدة لستريح بقية حياتنا ، وإذا

فشلنا في هذا فسأقنع بما يعيئ شرط ألا تكون بنتا فأنا لا أود أن أكون أقلية

بين اثنين]

وتدخلت ليزا في الحديث قائلة :

[أنا سعيدة ومسرورة لكما ، أخفيت عني ذلك عندما كنا في المطبخ

أليس كذلك ؟]

[نعم فشارل لم يكن ليفكر في أبدا لو أفسدت متعته بإعلان النبأ العظيم]

رد شارل بقطاعة :

[كنت فقط أستجيب لطيلك]

ورقع قدحجه للضيفين وهو يقول :

[فليشرب نخب براد وليزا ، أرجو ألا تتركيا الغلطة نفسها التي ارتكبتها

نحن وتنتظران عاما أو اثنين ؟]

فهمت هيلين قائلة :

[شارل لم يمض أسبوع واحد على زواجنا !]

NOOR

1 وذلك أدعى لأن يستمعوا إلى صوت أهل الخيمة . أنا عادة تنجح لي
الفرصة لتقديم النصيحة لشريكى الأكبر [

ورد بهذا قائلا :
[إنك عادة ليس لديك شيء جدير بسماعه . في أي حال فذلك في
ذهننا ، ليس كذلك يا ليزا ؟]

وأجبرت ليزا نفسها على الابتسام وقالت :

[لو أردت أنت هذا]

وصاح شارل مهللا وهو يقول :

[ذلك ما أود سماعه ، زوجة تعرف مكانها وحدودها]

وبالطبع براد بنسجيرة :

[هل تعرفين مكانك يا ليزا ؟]

ونظرت إليه عبر المائدة وأحست بأن قلبها يخفق عندما تركزت عينها على
ملامحه القوية فقالت :

[أحيانا ، لا أزعجني أفعل تلك دوما ، لكنني أعول على ذلك كثيرا . هل
تناولني الملح يا عزيزي ؟]

وهو شارل كفيفه وهو يقول :

[حسنا ، اعتقد أنك كسيت حليفا يا هيلين]

فزدت زوجته وقد قطبت ما بين عينيها :

[نعم ، هل يريد أحدكم صلصة حساء اللحم]

وكانوا قد وصلوا إلى مرحلة تناول القهوة عندما أعلن شارل خطبته لما تبقى
من الأمسية بأن قال :

[تفكر في الذهاب إلى نادي غالفكوت كلوب . إنني عضو منذ ما يزيد على
خمسة أشهر ولم تذهب سوى مرتين . هناك تستطيع أن تتمتع بالغناء والرقص

1

ونظر براد إلى ليزا التي كانت تجلس إلى جواره وهو يقول :

[إنها تبدو فكرة طيبة ، هل تخمين أن تذهبي يا ليزا ؟]

فأجابت بمرح وإن كانت في الواقع لا تبال :

[ولم لا ؟]

استغل الجميع سيارة براد وجلس شارل وهيلين معا في المقعد الخلفي

وأمنك كل واحد منهما بيد الآخر كعاشقين شابين . وعندما وصلوا إلى
النادي قد شارل بدء لزوجته يساعدتها على النزول من السيارة في حرص يتفاني
ادعاءه بأنه يرفض الرومانسية ووضع براد يده تحت مرفق ليزا وهما يصعدان
السلام إلى المدخل المضاء بصورة باهرة ، أعطى مفتاحه لنادي السيارات
ليصف السيارة في الموقف .

اختبرت لهم مائدة جيدة بالقرب من حلبة الرقص ، وكان الساقى يظهر فوزا
عند سماعه فرقة أضياع شارل الذي قال له بسعادة غامرة وقبل أن يستطيع أي
من الحاضرين أن يذري رأيا :

[أحضر لنا شرابا للهدايا]

ثم انتفت إلى زميله ومأله :

[ما وأنت في المكان يا براد ؟]

وألقي براد نظرة خاطفة على العرة المزخمة وعلى ما استطاع أن يراه منها
خلال ستارة الدخان الكثيفة فيها وقال :

[إنه نوع من التغيير]

زمر شريكه وهو يقول :

[وهذا يعني أنه ليس طرازك ولا ذوقك ، لكنك على استعداد لقبوله من

أجل الصبغة . العرض الغنائي الراقص الذي يقدمونه جميل للغاية ، هل تخمين
أن ترقصي يا ليزا ؟]

[نعم أود ذلك]

اكتظمت الحلبة بالراقصين ورأت ليزا من فوق كتف شارل وهو يذهب
إلى حلبة الرقص مع هيلين ، ورأت رأسه الأسود يعيل نحو رأس الأشقر
ليهمس في أذنها شيئا . لكن خلال جزء من الثانية تبين أن صاحبة الرأس
الأشقر لم تكن هيلين بل هي فيليسا التي كان يراقصها . وأحست ليزا
باختلاف أنفاسها . وانتهت الموسيقى وتوالى فترات الظبول ، الأمر الذي يعني
العودة إلى إعلاء الحلبة للعرض الغنائي الراقص . وعندما عادوا إلى المائدة
وصل الشرب وفتح الساقى الزجاجية وبدأ يصبها في الأقداح .

وعندما اطفئت الأنوار تناولت ليزا قدحها ووضعت بين شففتها يده مرتعشة
حدث لها شيء ما وهي في الحلبة عندما رأت الرجل الذي تزوجته يراقص
امرأة أخرى . لقد انهار شيء ما في أعماقها . واستمر العرض الغنائي الراقص

أربعين دقيقة لكنها لم تر سوى القليل منه . وعندما استأنف الرقص قاد شارل هيلين إلى الحلبة لكن براد لم يد حراكا لجاراته . وجلسا صامتتين لكن ليزا قطعت هذا الصمت سائلة : [هل يمكن أن تعطيني سيكارة من فضلك ؟] ورفع حاجبيه اندمجا وسأل :

[أنت لا تدخين ؟]

[لم أجرب ذلك أبدا . وربما كان علي أن أكتشف ما ينقصني]

قال يهدوء وهو يفرج عتبة سيكاته ويضعها أمامها :

[عذري ما تشائين]

أخذت ليزا سيكارة ذات فلتر ووضعتها بين شفتيها ومالت برأسها على الزلاعة التي يمسكها دون أن تنظر إليه . وشعرت بحرق في فمها وقاومت السعال وبذلت في ذلك جهدا كبيرا . ومدت يدها إلى قدح وهي تأمل أن تبدو طبيعية .

[ألا تعتقدين أنك بالغين ؟ ماذا تصرفين هكذا ؟ هل تحاولين أن تنسي ؟]

وفي حركة تحد واضحة رفعت القدح لمستوى العين حتى ينعكس الضوء على السائل الذي يرق وهي تقول :

[إن كل ما في العالم من هذه المشروبات لا يكفي ليحفظني أنسى]

ثم وضعت القدح بين شفتيها ورشفت ما فيه بشمهل وأعادته إلى المائدة . زودت على نظراته بالانسامة مشرقة وهي تقول :

[لكنه يسر الأمر]

وغمات عيناه وتصلب فمه وتقلص فكاه وهو ينظر إليها وسألها بصوت منخفض :

[هل تعتقدين أن هذه الأمسية كانت مهمة بالنسبة لي أنا أيضا ؟ هل تعتقدين أنني ساعدت بمقارنته ما لدى شارل وهيلين بالوضع المضحك القائم بيننا ؟]

وأطلقا سيكارتهم بعصية وهو يقول :

[من الأفضل أن نرقص قبل أن أدق عنقك ؟]

وعادت إلى الحلبة بإحساس أنها تطلق في الهواء . وشعرت بأن جزءا منها متفضل كحالها كانت تراقب نفسها عن بعد ، في حين كان قسم منها بين ذراعي براد . ولقت ذراعيها حول رقبة وابسمت . وكانت تعرف أن الأمسية

لا يمكن أن تستمر إلى الأبد ، وإنما بعد فترة ستصبح وحدها معه ، لكن في اللحظة الراهنة لم يد لها ذلك مهما . لم يد أي شيء مهما وقالت له وهي تضحك :

[لا تخملي في هكذا يا عزيزي . شارل ينظر إلينا ويجب ألا يكتشف أي خطأ ليس كذلك ؟]

[كفتي عن هذا . ما الذي ترمين إليه ؟]

[هذا هو ما كنت تريد . ليس كذلك . زوجة يفترض فيها أنها مدبرة في حب زوجها الوسيم . أنت لا تجعل الأمر سهلا يا عزيزي]

وأخذ نفسها حادا وشدد ذراعيه حولها بصورة مؤلمة وقال في انقباض :

[سأجعل الأمر سهلا بالنسبة إليك . إذا كان ذلك ما تريدينه] ونظر إلى وجهها وعيناه تفرسان فيها وقال :

[لكن تذكرني أنك أنت التي بدأت هذا]

وبعد ذلك أصبحت الأمسية شيئا ضايحا تذكره ليزا بصورة غامضة ، فهي تذكر أنها أخذت تضحك وتحدث مع الآخرين وأنها رقصت مرة ثانية مع شارل وأنها لاحظت عيني براد وهما تزدادان برودة وقسوة . غادروا النادي في الساعة الثانية عشرة عائدين بالسيارة إلى الشقة . خرج شارل وهيلين من السيارة وأخذ شارل يضحك وهو يقول :

[ألا تودان الصعود معنا لتناول القهوة ؟]

وهو براد رأسه وقال :

[شكرا ، أفضل أن تمضي في طريقنا . كان يوما طويلا]

وبسأت ساعة تدق في مكان ما من المدينة وصاحت هيلين :

[إنه عيد ميلادك يا براد ، كل سنة وأنت طيب] عليك أن تصعد معنا الآن فلدينا هدية لك]

[سأمر غدا وأخذها . شكرا على المشاء يا هيلين كان رائعا]

قالت هيلين وهي تنظر في السيارة :

[تأملت ليزا تقريبا]

لكن ليزا استدارت برأسها بصعوبة ورسمت على وجهها ابتسامة مصطنعة وقالت :

[كلا ، لم أتم . كنت أربح عيني فحسب]

NOOR

ووقوف صوت الدش ، وساء الضمت ، وانساب ضوء القمر من النافذة حاملا معه خيالات الأشجار ذات الأشكال المشوغة . وأدارت ليلا رأسها صوب السماء الضبابية وهي السماء ذات النجوم نفسها التي شاهدها مساء آل نورتون السابقات وهن مستلقيات في المكان نفسه . إن رجال نورتون قساة حتى اليسا نفسها أقرت بذلك . هل عرف أحدهم الحب الحقيقي الذي تريده المرأة وتحتاج إليه ؟ أم أن تلك العاطفة تعني لديهم السيطرة فحسب ؟

وانفتح الباب في الطرف الآخر من الغرفة على نحو مفاجيء فهبّت جالسة في سريرها ، وضمت ملابسها على جسمها وحملت في الشخص العنود الواقف أمامها ، وقلبيها يدق على نحو مؤلم . قالت بصوت خفيض :

[ماذا تريد ؟]

وأغلق براد الباب وواجه وسار إلى السرير وقال بصوت قاس :
 [أليس هذا سؤالاً سطحياً ؟ أم تتحيلين لي لم أكن أعني ما قلته منذ فترة ؟ إن هذه المهزلة استمرت أطول من اللازم]
 [استمرت خمسة أيام ، هل هذا هو أقصى ما تتحملة ؟]
 جلس إلى جانبها وأمسكها من كتفيها وأراحها على الوسادة وهو يقول :
 [هذه المرة يا ليلا ليس هناك مغر]

لكنها لم تتوقف وبعد لحظة سمعت باب غرفة الحمام يفتح ، وهي غير متزنة إلى حد ما ، وبارت إلى الحمام وفتحت الباب وشارت الضجة المتبعثة منه مضت إلى الباب الموصل بينهما وأخذت مثلما فعلت في الليالي الأربع الماضية . ثم ما لبثت أن فتحت وعادت إلى الحمام وعندما انتهت أغلقت بابه بصورة تسمع حتى يعرف أنها آمنت حجابها . ثم استندت إليه وهي تضر بالإرهاق وضغطت يديها على عينيها . الحمام جعلها تنهت ، لكنه لم يخلصها من آثار تلك السهرة .

كانت في سريرها عندما بدأ الدش يعمل ثانية واستأقت تستمع إلى صوت السيلانية وهي تأمل في أن يخلصها النوم من الأفكار المزعجة التي تتصارع في رأسها مثل حيوانات وقعت في القبع . لقد تزوجت براد منذ خمسة أيام ، كانت كلها جوعاً وعذاباً . والأهم من ذلك كم من الأيام ستظل تقاسي ؟ كم من الليالي ستعطيها هنا في عذاب وأرق تستعيد السعادة التي يمس بها في حال شارل وهيلين .

كيف أنه أصبح شبيها بأبيه ، وقالت ذات مرة :

« كانا صديقين ، يفهم أحدهما الآخر . هكذا يجب أن تكون الأمور بين
الأب والابن ، لكن هذا نادرا ما يحدث . وعندما قتل ماثيو كانت مسنة وراه
أكبر من صدمتي نوعا ما . ومع أن الزمن يداهي الأحرار فإنني أحيانا أعتقد أن
جرحه مازال حتى الآن يتوزع كما كان عندما جاءت الشرطة لتبلغنا بالحادثة .
أما الآن وقد حصل عليك فقد بدأ إحسانه بالتضيق يتلاشى . الأمر
يحتاج إلى من يستطيع أن يفتح له قلبه . »

ودت ليزا وهي تبتلع ريقها وتساؤل عما ستقوله أليسا لو عرفت مدى لغة
يراد فيها للدرجة أنه لم يخبرها حتى بالطريقة التي مات بها أبوه :

« كنت أنت موجودة طوال هذه السنوات . »

« يا عزيزتي ، إن يراد مثل كل الأولاد كيف عن أن يثق بي منذ أن بلغ إلى
سن المراهقة . إن موقف الصبي من أمه يتعرض لتغيير عندما يصل إلى سن
البوغ فيجس تجاهاها بالحب والاحترام لو كانت تستحقهما ، لكن اتفاقا تسع
ومعنا في ردك أن المرأة يمكن أن تكون أكثر من مجرد ملاذ في الخن وصوت
مضطرب في الليل ، وعندئذ على الأم أن تدرك أن عليها أن تسمح لنفسها بأن
يغدو رجلا . »

وتنهدت أليسا ثم استطردت قائلة :

« إنه وقت صعب ذلك الذي تواجهين فيه حقيقة أنه ينبغي عليك في يوم
ما أن تتخلي عن كل الحقوق السابقة من أجل الحصول على مودته وإعتماده
، لكن الإنسان يقبل ذلك تدريجيا باعتباره أمرا محتملا ، ويضع كل شيء في
أثر المراد التي ميترجها ستكون باردة ومظلمة بقدر كاف لتتخلي عن ذلك
الركن الذي لا يخصها من قلبه . »

وايتممت وأضافت :

« وفي حالي لا أعتقد أن مثل هذا الأمل ضارب . أنت فتاة مني يا ليزا
أليس كذلك ؟ »

لم تكن ليزا قادرة على أن تتذكر ما قالته كرد على هذا السؤال ، برغم أنها
متأكدة من أنها أعطت الرد السليم ، لأن أليسا ربت على بدنها . لقد كانت
الملاحظات قاسية بالنسبة إليها ، لأنها كانت تدرك أنه لك يكن لها مكان في
قلب يراد لتطالب به . لقد فرض إرادته وجعل زواجهما حقيقة لكنه لم

٩ - اللوحة !

كان أب (اغسطس) شهرا حارا شديد الرطوبة ، نادرا ما هبت فيه نسمة
هواء كثرط جباه الرجال الذين كانوا يعملون في فارلي . ومع ذلك فإن
المشروبات الثلجية التي كان المالك يوزدهم بكميات منها ، كانت تبقى
أرادتهم على العمل قوية .

وبالنسبة إلى ليزا كان النشاط المكثف في المنزل وما حوله يسليها . وذلك
فقد أعرفت نفسها في العمل وحظيت باحترام الرجال وتقديرهم ، وعلمتها
عن طيب خاطر رغبته في التعلم واستطاعت بسرعة أن تلم بكل مبادئ
العمل ، وتدرجيا بدأ بعض النظام يعود من هذا الخضم من القوضى الذي ساد
في الأيام الأولى . وتم إصلاح الأرضيات التي كانت قد فسدت ، بدأ عمال
الديكور عملهم .

وفي هذه الأثناء جرى استخدام غرفتين في الجانب الشمالي من المنزل
لتناول الطعام والجلوس . لم تكونا مناسبتين بسبب رطوبتهما ورائحة التحلل
السائدة في جدرانهما ومع ذلك كانتا محتملتين كمكان مؤقت . أولئك
المطبخ الجديد أن ينتهي وتمت تغطية جدران الغرفة المشبعة الراسعة التي
أخبرت لتحويلها إلى مطبخ بالبلاستيك أصفر اللون وكانت المعدات التي
اختارها بوني ملائمة تماما . وكانت بوني تنتظر على أحر من الجمر اليوم
الذي تستطيع فيه أن تعد الطعام في الفرن الجديد الرائع .

وبما أن الجو أصبح لطيفا فقد كانت وائدة يراد تستضي فترة الصباح على
سطحية الجناح الشمالي تنعم بالهدوء وتستمتع بأشعة الشمس . وكان على
ليزا أن تحضر لها القهوة والبسكويت في الساعة الحادية عشرة ، ويجلس معها
تعدنان . كانت أليسا تحب الحديث عن إينما ، عندما كان طفلا وصبي

يحبها، لكن ماذا سيحدث عندما تخبر رغبة ، كما لا بد أن يحدث ذات يوم ؟
على سبيلها تلعب ؟ أم سيتوقع منها أن تبقى بانتظارها سيدة فارلي حفاظا
على سمعة الأسرة في حين يزاد عدم مبالاة بها كأمراة ؟ إن الأمر الأخير
سيكون أقسى من أي شيء آخر .

وأحد الصيغ تراجع ببطء في الرعب المحيط بفارلي . واكتست مناطق
المتنوعات البرية التي تجاور المنزل بكون أرحمائي بهيج لكثرة أضرار الشجيرات
التي تنمو فيها . واكتست التلال بمسوحات من الزهور والورود وبدأت الظهور
تتجمع معا لتهاجر إلى أماكن أكثر دكا . ولم يكن للوقت أهمية كبيرة لدى
لوزا . واعتادت أن تقبل بينهما وبين براد . لم يكن الأمر سهلا . وكان خور
بشورها يشير حلقه بحيث يبدو في بعض الأحيان وكأنه يريد أن يقبض على
كفتيها ويهزها بعنف . وفي إحدى المناسبات هتف بها :

[متى ستكبرين ؟ متى ستكفين عن خداع نفسك ؟

فأجبت :

[لا أعرف ما تقصده]

فضحك بخبرة وهو يقول :

[نعم إنك تفعلين ذلك . أنت تعرفين ما أعنيه على وجه الدقة]

وتوقف عند هذا وهو يراقب اللون الذي يتصاعد إلى خديها . وأضاف قائلاً :

[كلا ، يا حلوة ، أنك تريدان أن تبقى معي بقدر ما أريدك ، لكن تلك الكبرياء
الحققاء لا تدعك تعترفين بهذا]

وتحوّلت لوزا عنه ، فلم تعد قادرة على أن تتحمل المزيد من تحديقه الساخر
فيها . كذلك كانت تخشى أن يضمها كما فعل مند بحلة مضت ، وفي هذه
المرّة سيضعها إلى أن تستجيب . وتساءلت عما كانت متعلّمة في فارلي طوال
تلك الأسابيع ليخطف عنها وطأة التوتر . قال جو كله في الكرخ كان مختلفا ،
جو مريح ، بلمي ، هادي ، وكان ليوك يبدو دوما مستجيبا لحائثها المزاجية .
وكان عادة يأخذ في الرسم ، في حين تجلس هي في أحد المقاعد تراقبه ، وتادرا
ما يتبادلان كلمة طوال الوقت الذي تقضيه عنده .

وعندما جاءت إليه ذات أصيل من الباب الخلفي المنزلة ، في الوقت الذي
كان يضع اللمسات الأخيرة في لوحة عن مستنقعات كرافن ، قال لهما :

[تريدان شاي . إنك تبدلين جهدا كبيرا في المنزل]

NOOR

وتركزت عينها على التلال البعيدة ، وهي تقول :

[الواقع أنني لا أفعل سوى القليل . وأود لو كان هناك المزيد لأعمله . العمل
يساعد على قتل الوقت]

[تريدان قتل الوقت في سنك هذه ؟ إن الشباب عادة يشكون من ضيق
الوقت وعدم كفايته]

فباطأت كلماتها وهي تقول :

[الجيل الذي يتحدث عنه يا ليوك ليس جيلتي أنا في مرحلة وسط ..

تجاوزت من المراهقة ، مع ذلك أكون أحيانا حائرة كأنني في السابعة عشرة]
[هل تعنين أنك لم تجدي نفسك بعد ؟ إن البعض لا يجد نفسه أبدا يا لوزا
، النضج لا يرتبط بعدد السنين ، ونادرا ما يكون فهم الإنسان لإعماقه أمرا
ميسورا]

كانت تجلس على العشب ، تهز ركبتيها بذراعيها كقطف ، وعيناها
المغمضتان حيوة مركزتان على وجهه .

[هل وجدت سعادتك يا ليوك ؟]

بقي فترة صامتة قبل أن يجيب :

[السعادة . إنها تعني أشياء متباينة للغاية لدى الناس . قد يكون الكاتب
يزاؤون اقتراب من السر عندما قال : إن المشكلة المشتركة ، مشكلتك ومشكلتي ،
مشكلة أي شخص هي كيف تتجنب الشاكي على ما كان بعد وضعنا أمثل ،
وأن نتوصل إلى ما يمكن أن يتحقق ثم نجد الطريقة لجعله وضعنا أمثل
بالوسائل المتاحة لنا .

وهكذا يصل الإنسان إلى الوفاق مع نفسه ، وقبيل مالا يمكن أن يتغير وأن
يستفيد منه على غير وجه . وأنا لدي رسومي وقد كتبت نفسي مع الحياة
التي أعيشها]

قالت له : [لكنك مكثف فائيا ، ولا تحتاج إلى أحد ؟]

[هذا ماقلته لي زوجتي مرة . وهو ليس صحيحا طبعاً . فليس هناك إنسان
مكثف ذاتيا في صورة كاملة]

وزفت رأسها وحدثت فيه وهي تقول :

[لم أكن أعرف أنك متزوج]

[لست متزوجا الآن]

لأقالت لي أنه علي أن أختار بين الرسم وبينها ، وكانت حاجتي إلى الرسم أكبر من حاجتي إليها ، كان الأمر بسيطاً علي هذا البحر .
[ألم يكن في الإمكان الوصول إلى حل وسط ؟]
[لم تكن لي عين تريد حلاً وسطاً كانت تريدني بشروطها كاملة (ولا خلا)]
واتقسم والارهاق باد عليه وأضاح :

[لا يمكن أن نلومها ، إنها لم تعارض حياتها خلال السنوات الست لزواجنا ، فقد كانت تعيش في الفندق ولم تطلق مع أي ، كما كانت تقضي النهار الشتاء الطويلة فيما يشبه الحبس الانفرادي لأنني كنت مستغرقاً في عالم لم تستطع ولم تشأ أن تشارك فيه . وعندما قلت أنني سأبيع الفندق بعد موت أبي ، اعتقد أنها تصورت أننا سنبدأ بداية جديدة . إنها لم تستطع أن تفهم أن هذا الفندق المفاجيء لنفوق في يدي لم يغير شيئاً مما كنته أو مما أردت أن أكونه . ثم انفصلنا ، وتم الطلاق بيننا . وكان ذلك هو التحل الوحيد . إن الغلطة التي ارتكبتها هي أنها تزوجتني أصلاً .]
[لأنك لم تكن تحبها ؟]

1 كلا ، بل لأنها لم تحبني علي نحو كافٍ لئلا الجهد للتقريب بيننا .
[لكن ليس هذا عدلاً ، فالزواج قضية مشتركة ومن المؤكد أن الجهد يجب أن يأتي من الطرفين]
وكانت انصامة ليوك خافتة وهو يقول :

[إن الزواج يا طفلي هو اختراع إنساني ومسؤولية إنجازه تقع علي عاتق المرأة . إذ كنت ترين أن هذا عدلاً ، فهو كذلك فعلاً . لكن ذلك هو نظام الرجل ، ونحن جنس إنساني في مجموعتنا . إن انحب بالنسبة للنساء هو كل شيء ، لكنه جانب فحسب من حياة الرجل . وعندما تتعلم المرأة أن تقبل هذا فإنها تكون عندئذ فقط في طريقها إلى النضج .]

ثم غير الموضوع فجاء بقوله :
[هل يمكن أن تتركيني لأرسم ؟]
[هل تريد ذلك حقاً ؟]

[توقفت عن مغالبة النساء منذ وقت طويل ، إن افتارك إلى الخلاء أمر رائع يا ليذا]

[لماذا أنا علي وجه التفصيل ؟]

[لأنك مبررة معينة أردت أن أسجلها علي لوحة قدر استطاعتي .]

ثم نظر إلي ساعة وقال :

[تجاوزت الساعة الثالثة بقليل ، هل يمكن أن نبدأ الآن ؟]

[لو أردت ، إذا شئت .]

[لنبدأ]

ورفع ليوك اللوحة التي لم تتم من علي الحامل وقال :

[سأحبل هذه اللوحة إلى القاعيل لتجف وأحضر ما أحتاج إليه . ويمكن

أن نقل نكل الأدوات إلى ضلة النهار]

وبعد عشر دقائق كانا في المطبخ الذي أرادته حيث كانت شجرة صفصاف

تسدلان فروعها في الماء ، وجعلها تقف في مكان ترداد فيه كثافة أوراقها

والفروع تمتد من حولها ورأسها مرفوع ينظر إلى اليد التي تمسك بفرع صغير

[أمسكه هكذا]

ومن الحامل الذي أقامه علي بعد أقدام قليلة منها أحد يتأملها لبرهة وجيزة

ثم أوما الرطبي وتناول فرشاته وقال :

[إن الضوء ملائم تماماً لما أريده ، شكر هذا في الموعد نفسه من كل يوم]

[لست متأكدة ما إذا كنت أستطيع أن أرتب هذا]

خصيت أن يشير غيابها المتكرر في الموعد نفسه من كل يوم تعليقاً من أليسا

أو من يولي أمام براد وفي حضوره ، الأمر الذي يفتح الباب أمام مشاكل لا تعد

ولا تحصى ، هي في غنى عنها خاصة أنها لم تحدد عن لقاءها مع ليوك

قال لها ليوك بلهجة خازمة :

[عليك أن تفعل هذا ، فهذا شيء لا أستطيع أن أؤجله ثم أستأنفه علي

هواك وحسب رغباتك ، حركت رأسك ، أبقيتها في مكانها بلا حراك]

وخلال نصف الساعة التالي اكتشفت ليذا حقيقة جديدة هي أن ليوك

الفنان يختلف تماماً وبصورة جذرية عن ليوك الانسان ، تبددت لهجة الود التي

كان يكلمها بها ، كذلك تلاشت انصامة التفهم التي كان يشعر بها والتي

أعجبها كثيراً ، إذ كان يزجج صائحا ومربحا لو تجرأت علي التحريك وفرض

عليها الصمت والسكون عندما حاولت أن تتحدث وتثرثر وهو يرميها ،

وشعرت بالسرور والفرحة إلى أقصى حد عندما استدارت الشمس من مكانها

بدرجة جئت بقر وهو كاره أن ما تم يكلمني لهذا اليوم ، وجلست على
المصنوع منهكة وهي تفرز بارتياح واسترخاء ، وتحرك قدميها اللتين أصابتهما
الحذر من طول وقوفها حتى باتت لا تحس بهما وبعد أن استراحت قليلا

[أنا أشعر بالامتنان والشكر لله أنني لست نموذجاً للفئتين لكل الوقت ،
كيف يتحمل كل هذا المجهود والارهاق ؟]

واتفجر ليوك ضاحكاً وقد استعاد حالته الطبيعي بعد أن انتهى من دوره
كفنان وقال لها :

[آسف تماماً إذ كنت فقط نوعاً ما معك لكن أرجو أن تقدرني موقفي ،
فكم يكون مرعباً ومثيراً للأعصاب أن ترفعي عينيك من على اللوحة لتفاجئي
بأن الزاوية التي ترسمين منها تغيرت كلفة]

وبدا يجمع حاجاته بشمهل ويرتبها بعناية ثم قال :

[متجدين أن الأمر أسهل لك لو ركزت تفكيرك أثناء وفرتك أمامي في
شيء آخر واستغرقت فيه]

[مثل ماذا ؟]

[أي شيء تحببه وتفضلينه وستسهوك التفكير فيه لأنه يبعث فيك سعادة
وجوية . وبهذه المناسبة كيف يمضي العمل في المنزل ؟ هل يسير على مايرام
وفق خططكم وتصوراتكم ؟]

وأجابني في حماسة بدت واضحة في صوتها الذي اكتسب حيوية :

[يسير سيرا حسناً للغاية ، أوشتك العمل في الخارج الجنوبي أن يكتمل ،
وما يثير الاهتمام والاندحاش أن نعرف أن فارلي سيصمد لمدة قرنين آخرين من
الزمان على الأقل]

[لا بد من الحرص على القيم القديمة في هذا العالم المتغير ربما على أن
يصحب هذا القيام بعملية تنسيق ناجحة ومستمرة بين القديم والجديد .]

وصمت ليوك لبرهة ثم أضاف :

[الواقع أنني أرى براد محظوظاً للغاية]

ونظرت إليه نظرة سريعة وهي تسأله باهتمام ولهفة [لماذا]

[لأن له زوجة تشاركه اهتماماته وتفهم مواقفه ووفائه وتشدها]

وطوى الحامل وهو ينظر إليها ويقول :

[حار وقت تناول الشاي . هل نعود إلى المنزل لتناول البعض منه ؟]

وهزت ليذا رأسها وهي تقف وتنفخ لوبها كما على يد من حشائش لم
تأكل .

[من الأفضل أن نعود إلى المنزل فأنا عادة أتناول الشاي مع والدتي براد في
غرفها . وسأستأذن أيتها إن لم أذهب إليها ، وأنا لا أحب أن ألتزم عن
موعدتي معها فهي سيئة لطيفة ومنجوبة والجلسة معها ممثلة]

[تستطيعين إخبارها أين كنت عندما تعودين]

[كلا فقد تساورها الظنون]

وعندئذ رأيت حاجبيه يرتفعان تعبيراً عن الدهشة فتلصحت وأضقت :

[أنا .. أنا أقصد ..]

وأصبحت نظراته فجأة حادة على نحو غير متوقع وهو يقول لها :

[أعتقد أنك تقصدين أنك لم تخبري براد أو أي شخص آخر بأنك
تعرفتي . لماذا فعلت ذلك وما هو سبب إخفاء زيارتك لي ؟]

وأرتبكت وأصمت بالحيرة والاضطراب وهي تقول مغمضة :

[لا أعرف . افترضت أن هذا الأمر غير مهم وأنه ليس علي أن أحدثه عن
هذه الزيارات]

وبدت رنة الشك واضحة في صوته وهو يقول :

[إنها لم تكن زيارة فقد اعتدت أن تخبي لي هنا مرتين أو ثلاث مرات في
كل أسبوع خلال الشهرين الماضيين . هل أنت خائفة من زوجك يا ليذا ؟]

هل تخشيه إلى هذا الحد ؟

واستدارت بعيداً هاربة عن نظراته ، وبدت عضلات خديها متوترة وهي
تقول :

[سؤال سخيف . هل كنت أتزوج لو أنني أحاله ؟]

ونهمل بعض الوقت ثم قال :

[ذلك يتوقف على أمور كثيرة . ففي بعض الأحيان قد تضطر الظروف
شخصاً إلى القيام بأعمال لا يرغب فيها . ربما أجبرك وسيلة ما لم تستطيعي
التهرب منها . ربما تزوجته من أجل المال ؟]

[ماذا تقصد بهذا ؟ ما معنى كلامك ؟ في الحقيقة لم أستوعب تماماً
ما فعلته]

١ قلت بساطة أنك بساطة لبائعين فيما تتوقعين الحصول عليه من براد
كزوج [

ولفكرت ليزا في أن كلامه هذا حقيقي وصادق ولا يخالف الواقع في شيء
لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من التساؤل عن عدد الناس الذين يعانون من
مثل هذه التقلبات والاضطرابات التي تقترض هي نها والتي تعاني منها منذ
زواجها من براد الذي لم يمض عليه وقت طويل حقا ؟ هل ستصرف أية
امرأة أخرى بطريقة مختلفة عما تصرفت هي أراء هذا الوضع الذي وجدت
لنفسها فيه بعد زواجها ؟ وتنهذت وقالت للبولك :

[سأراك غدا ؟ في الموعد نفسه كما اتفقنا]

ولم يعاين اعتراضها وهي تعضي في طريقها مبتعدة عنه .

في الساعة الخامسة من بعد ظهر ذلك اليوم اتصل براد هاتفيا ليقول لها أنه
لم يعود إلى المنزل لتناول العشاء وأنه سيستمر في العمل في المكتب حتى
وقت متأخر لإحجاز بعض الأعمال الضرورية الطارئة التي لا تحصل تأجيلا أو
تأخيرا . وتساءلت ليزا وهي تحس بالتهيار لا حدود له عما إذا كان هذا التأخير
عن العودة للمنزل سيستمر إلى حل لا نهاية وسألت :

[متى سيعود لأخبر بوني بأن تبقى لك الطعام مباحنا ؟]

[لا تشغلي بالك ، سأكل في المدينة] وسكنت برهة ثم سألت :

[هل كل شيء على ما يرام ؟]

[هل كل شيء رائع ، انتهى الرجال من العمل لهذا اليوم . وليست هناك

أية مشاكل على الإطلاق ، والأمور تسير سيرا حسنا .]

[إلى اللقاء يا ليزا]

بعد الغضب والفضيحة خلال النهار جاء المساء بهيمته الزهيب ومكونه
الذي كاد أن يصبح شيئا ملموسا . وفي الساعة الخامسة تحت ليزا ليلة سعيدة
لأجيب ومضت في طريقها عبر الدليل المضي إلى الممر الموصل إلى غرفة
نومها واستراحت أعلى السلم نصف الوقت . وفكرت في أن الوقت لأزال
ميكرا على النوم . وربما كان الكتاب عونا على تمضية الوقت حتى يداعب
النوم جنينها . وعندما زلت من جديد إلى الردهة اعترفت بأنها تفقد صحة
براد عندما يكون في الخارج في المساء وهي وحيدة في المنزل ، أنها تحس
بالاستئذان والراحة في رفقته برغم كل شيء . فبما عادة يجتاز الكثير من

NOOR

المواضيع بطرقها ، والحديث بينهما دوما لا يتعثر ولا يتوقف .
وعندما وصلت إلى أسفل السلم إلى جرس الهاتف عاليا مدونا ، ربما كان
براد هو الذي يتصل ليقول لها أنه في طريق عودته إلى المنزل . ومضت من
فورها وهي تسرع الخطى إلى المنضدة التي تحمل الهاتف ورفعت السماعة
وقالت :

[هالو]

وراء عليها صوت مأثور لديها يقول :

[هل يمكن أن أكلم براد يا ليزا من فضلك ؟]

وقدكرت على الفور صاحب الصوت وقالت له :

[إنه ليس في البيت يا شارل ، من أين تتكلم ؟]

[من المكتب ، هل لديك أي فكرة عن المكان الذي يمكن أن يكون قد
ذهب إليه ؟]

وسألت ليزا بحرص :

[متى غادر المكتب ؟]

[في الساعة . خرجنا معا . ورجعت أنا منذ دقائق مضت لأراجع شيئا ما .

وظننت أنه لابد أن يكون الآن قد عاد إلى المنزل]

[قال إنه سيتناول طعامه في المدينة . أوقع عودته في أي وقت . هل أطلب

منه أن يتصل بك عند عودته ؟]

[سأبقى هنا ربع ساعة وبعد ذلك سأذهب إلى المنزل . ومن الضروري أن

أجده الليلة . أرجو أن تطلبي إلى أن يتصل بي فور عودته إلى المنزل]

[سأؤكد تماما من أنه سيتلقى رسالتك فور عودته إلى البيت ، وسأخبره

بأهمية اتصاله بك الليلة . كيف حال هيلين ؟ أرجو أن تكون على أحسن

حال]

[إنها مليئة بالحيوية والنشاط . قالت لي الليلة الماضية أنه سيكون من

الأفضل لنا جميعا أن نتقي مرة ثانية]

[حالما ينتهي العجل في الخارج الجنوبي فلا بد أن أتوا ليزارنا]

وعندما وضعت السماعة كانت ساعة الردهة تدق معلنة الساعة . والرابع ،

وقلت واقفة حيث هي مدة طويلة تحديق في جهاز الهاتف . قالت لنفسها أنها

كانت تستطيع أن تقول لشارل أين يمكنه أن يجد براد . من الواضح تماما أنه

ذهب لرؤية فيليسيا فهو لا تترك براها باستمرار ، وهو على وجه التحديد لم يكن يتصور أن شارل سيتصل به في المنزل بعد انفراقهما بسبب له الاجراج .
وشعرت بأنها تكاد تبلغ أقصى درجات التعاسة .

١٠ - المصرا

كانت عقارب الساعة تشير الى العاشرة والرابع عندما سمعت ليزا صوت سيارة آتية ثم توقفت أمام المنزل ، وظلت ليزا جالسة حيث كانت على المقعد الوتر ذي المساند والظهر المرتفع قرب النافذة . وأخذت تسمع وقع خطوات براد وهو عائد الى المنزل بعد أن وضع السيارة في الكاراج ثم مالبت أن سمعت صوت صرير الباب وهو يفتح خلفه فأدركت أنه دخل الى المنزل . وبعد ذلك بخمس دقائق رآته يفتح باب غرفة النوم ويقف على العتبة وينظر الى حيث جلست في ضوء القمر .

[ماذا تفعلين وأنت جالسة هكذا في الظلام ؟ هل نمت ثم استيقظت ؟]
ومع يده وأعضاء المصباح الموجود على منضدة في جوار مدخل الغرفة مباشرة .
فردت ليزا بهدوء وهي تنظر اليه :

[كلا لم أقم ، بل كنت جالسة أفكر]

وهبت واقفة وانجذبت الى طاولة الزينة وجلست أمام المرأة وتناولت قرشاة وبدأت ترتب شعرها السليل على كتفها . واستطاعت أن ترى في المرأة براد وهو واقف في مكانه يحدق فيها . قالت له بصوت رقيق ناعم :

[لا بد أنك متعب فلقد كان اليوم طويلا]

[نعم لقد كان كذلك فعلا]

نقدم اليها وترك الباب يتخلق خلفه ثم مالبت أن قال وهو ينظر اليها :
[لكن هناك تعويض عن هذا التعب يخفف عن الانسان الإرهاق الذي لاقيه]

[تحصل بك شارل عاتقيا ، وهو يريدك أن تتصل به الليلة من كل بلد]

[أقم يقبل لك من أجل ماذا يريدني أن أتصل به ؟]

NOOR

١ كلاً ، لم يقل على الإطلاق ، أصراً على أن تفصل به الليلة [٢] اعتقد أنه من الأفضل أن أذهب وأرى ما يريد ، لأبد من وصل لحظ داخلي إلى هذه الغرفة حتى يمكن الحديث معها دون حاجة إلى الذهاب إلى مكان آخر [٣]

وأستدار على عقيبه ونظي متجهاً إلى باب غرفة النوم ثم وضع يده على مقبضه ووقف واستدار ببطء لينظر إليها ويقول : ١ لو أن شارلي اتصل هاتفياً فلا بد أنه قال لك أنني غادرت المكتب في الساعة السابعة [٢]

وأختلجت الفرشاة في يدها وردت : [٣] نعم أخبرني بذلك فعلاً [٤] عندئذ قفل براد راجعاً عبر الغرفة وجذبها بذراعيه وجعلها تستدير وهي جالسة على الكرسي الدوار لتواجهه ولتنظر في وجهه مباشرة وهو يقول : [٥] ما الذي كنت تحاولين أن تصيديه من كلامي ؟ أين تعتقدين أنني ذهبت منذ أن تركت المكتب الساعة السابعة [٦] ؟

[٧] واضح تماماً أين كنت ، أليس كذلك [٨] وتأمل وجهها المتورد ملياً لبرهة طويلة ثم سألتها سائلاً : [٩] هل هو واضح ؟ هل لك أن تخبريني بهذا لو تكرمت [١٠] كنت مع فيليسيا ، هل تعتقد أنني بلهاء يا براد ، وأني لا أعرف ماذا يدور بينكما ؟ سمعت حديثك إليها في الهاتف في تلك الليلة التي ذهبت فيها عند هيلين وشارل ومن ثم فلا تتعب نفسك في محاولة فاشدة للإنكار [١١] لكن براد لم يحاول أبداً الإنكار ، كان ينظر إليها في دهشة وفجأة ارتسمت ابتسامة بطيئة على وجهه حتى غطته كله وسألتها سائلاً : [١٢] هل أنت غبورة بالفعل أم أنك تصنعين الغيرة [١٣] أنا أكرهك [١٤]

وضحك وهو يرفع وجهها إليه وينظر في عينيها مباشرة ويقول : [١٥] مازلت أحيأ حتى الآن برغم تهديديك بكرهك لي [١٦] واجه نحو السرير وهو يقول : [١٧] سيكون على شارل أن ينتظر [١٨] استيقظت ليزا على أنوار الصباح الأولى ، واستلقت ساكنة وعينها تتجهان إلى الوجه نصف المدفون في الوسادة إلى جوارها ، كانت الملامح القوية تبدو أكثر شباباً أثناء النوم بل تبدو كملامح فتى والخط المتصلب القاسي لقمه

أخلي مكانه لطيف ابتسامة كما لو كان يرى أجلاماً سعيدة ساراً .

وأخذت تستعيد ما جرى الليلة الماضية وتذكرت أنه حتى لم يرد على اتهامها له بأنه كان مع فيليسيا ، بل أنه لم يغضب لذلك أصلاً ، الأمر الذي يؤكد من أنه مذنب ، وشعرت بالألم يحتاج جوانبها فقد أصبح هناك فارق الآن ، ذلك أنها أدركت كم تحبه ، لقد تأكدت من ذلك في تلك الساعة التي أمضتها في انتظاره الليلة الماضية ، نعم إنها تحبه بكل جوانبها بغض النظر عن أي شيء ، كيف يمكن أن تحصل هذا وأن تستمر في حياتها هنا ؟ لو أنها تجد وسيلة للتخلص من تزوير ذلك الرجل الذي أصبح يعني الكثير بالنسبة إليها ، في حين أنها لا تعني شيئاً بالنسبة إليه ، هذا ليس صحيحاً تماماً فهي لها بعض السيطرة عليه ، وربما لو لم تكن فيليسيا موجودة لتفقد هذا الوضع وارتضته ، على أما أن يأتي المستقبل بمشاعر أكثر عمقا ، لكن أن تشارك امرأة أخرى فيه ، أبداً ، هناك حدود لما يمكن أن يرضيه الحب .

وعادت إلى النوم لكن في أغفاءات قصيرة متقطعة عند كل حركة من براد ، وعندما دقت الساعة السابعة لم تستطع أن تبقى في مكانها ، فسللت بحرص وتزلت من السرير فلا يزال لديها نصف ساعة قبل أن يوقظها المنبه ، ولكنها تذكرت وهي تمضي إلى الحمام أن اليوم هو يوم السبت ، وبراد لم يذهب إلى المكتب ، سميت ذلك تماماً عندما قالت ليوك أنها سهرت اليوم ، لكن كيف تبلغ ليوك بذلك ؟ فليس من العدل أن تتركه ينتظرها في الكوخ في حين أنه يستطيع أن يستغل وقته في أشياء أخرى .

ونظرت إلى السرير ثانية كان براد لا يزال نائماً في استغراق كامل ، لو أسرعته لتوصلت إلى الكوخ وعادت قبل أن يستيقظ ، وعصت ليرا شعبيتها فجأة ، إن لقاءاتها مع ليوك طابع السرية مما يشعرك بالإثم ، بالطبع هناك اختيارات أمامها لتسهر بالراحة ، فإما أن تخبر براد بصداقتها مع ذلك الشاب لديه أو بدلاً من ذلك تتوقف عن الذهاب إلى الكوخ .

ولم يكن أي من الخيارين مستوياً ، فقد أصبح الوقت متأخراً كثيراً بالنسبة للاختيار الأول مالم تحصل إلى علم مناسب لعدم ذكرها لست من قبل ، أما التوقف عن زيارة الكوخ فغير ممكن لأنها تعمل كثيراً على صداقة ليوك ، إنه ملاذها الوحيد ، كلاً ، لابد أن تستمر الأمور على ما هي عليه في الوقت الحاضر ، فليس أي مجال للتغيير لاختميد عقباء .

كان المنزل لا يزال غارقا في ضلمة مطبق عندما غادرت بعد أن ارتدت
لبسها وسروالا وسرة خفيفة نظيفها بروحة الصباح . كانت السماء مكسوة
بنسك الورقة الضبابية التي تسمى بأن اليوم سيكون لطيفا . وكانت الشمس
وصلت ضللا إلى أعلى الأشجار . واستغرق وصولها إلى الكوخ عشر دقائق .
لم تكن هناك أي بادرة على وجود حياة فيه . ويبدو أنه حتى في الليل لا يهتم
ليوك بأن يفتح الباب الخارجي لأنه أنفتح بمجرد لمسة عندما ضغطت عليه .
ووقفت مترددة على عتبة الباب وعيناها تجولان فيما حوته الغرفة . كانت
هناك صينية تضم بقايا عشاء الليلة السابقة موضوعة على المائدة . كان من
الواضح أن ليوك لم يستيقظ بعد . ماذا تفعل الآن ؟
وكانت في ترك رسالة . لا بد أن تترك له رسالة .

كانت اللوحة الموجودة على الحامل أسفل النافذة مغطاة . وضعت ليذا
بإغراء قوي بأن تنتهر هذه الفرصة وتلقي نظرة خاطفة على صورتها التي بدأ
رسمها أمس . لكنها قاومت هذه الرغبة وبدلا من ذلك قطعت ورقة من
كراسة للرسم وجلستها على كرسي مجاور والتقطت أصبع طباشير ملون كان
متبقي على مائدة قريبة . وكتبت :

أسفة . الصورة يجب أن تنتظر حتى يوم الاثنين ثم أضافت اسمها وظوت
الورقة ووضعتها في مكان بارز ليراها ليوك عند استيقاظه . ثم انسلت خارجة
من الكوخ . وعندما عادت إلى غرفة النوم كان صوت الماء يساق فياضا من
الدش . وتلقائيا ذهبت إلى السرير حيث ربت أعطيتها ووسائله ثم التجهت
للفتح الستائر . كانت النافذة الرئيسية الكبيرة تطل على الطريق . ووقفت ليذا
لغرفة تطل خارجا وامرات القلق بادية على وجهها وسمعت صوت يراود من
خلال الغرفة يسألها :

[هل استمتعت بالمشي صباحا ؟]

واستدارت إليه ببطء لتواجهه وجاءها صوت من أعماقها يهيب بها أن
تظلمه على كل ما يتعلق بلقاءاتها مع ليوك وألا تخفي عنه شيئا . لكن يترضى
عليها هذا . ولماذا يعترض ؟

[كيف عرفت أنني كنت أمشي ؟]

[رأيتك عائدة سيرا على القدمين]

ومشي متجهلا إلى طاولة الزينة وأخرج سيكارة من علبة ثم وضعها بين

NOOR

شفته وأشعل الولاعة باليد الأخرى الفارغة . وسحب نفسا عميقا من السيكارة
من بين أسنانه ثم أسقط الولاعة في حيب بطلونه وهو يحس هامسا
عكسته ملامحه وأضاف :

[كنت تبتلين مسرعة . هل يمكن أن أرضي غروري وأقول أنك كنت
تستعجلين العودة إلي ؟]

[يمكنك أن تفرض ذلك إذا شئت]

[بالطبع أريد . لماذا لا تجيئين إلي وتقولين صباح الخير]

وأدركت إنها إن لم تذهب فيأتي إليها ويجعلها تفعل ذلك . تأكدت من
ذلك بوضوح في لهجته . واجلست رقبها بصعوبة ثم مضت إليه ووضعت
يديها على كتفيه وضغطت شفثيها على خده رسالته :

[هل يكفي هذا ؟]

ولاحظت الانسجام الساخرة القاسية التي تكرهها كثيرا فترسم على شفثيه
وقال :

[إنه يكفي برغم أنك كنت أقل إجحافا في الليلة الماضية إذ كنت متطلقة
على سجينك بلا تحفظ !]

وضحك عندما رأى خديها يتوردان بحمرة الخجل ورأسها ينخفض في
استياء وقال :

[لماذا الخجل ؟ أنا متزوجان]

واستدارت ليذا مبتعدة عنه في ارتباك واضح . وأخذ يراقبها برهة حتى قالت
له :

[طلبت من يوهي أن تعد طعام الفطور مبكرا حتى تفرغ لرؤية جون جيفري
فور وصوله . هناك أشياء قليلة يود أن يناقشها معك]

[إذن يحسن بنا أن ننزل فورا لتناول الفطور]

وصل جون جيفري وأمضى هو ويراود الجزء الأكبر من الصباح يناقشان معا
خطط العمل في الأسبوع المقبل . ولم تدع ليذا للاشتراك معهما في هذه
المناقشات المطولة والمعقدة والتي غلبت عليها الجوانب الفنية . وأخذت تتجول
دون أن يقر لها قرار حول المنزل بعض الوقت . ثم انضمت إلى أليسا في
جلستها المفضلة كل يوم على مطبخية المنزل في ضوء الشمس . وبعد قليل
قالت لها حماتها بلهجة ملؤها المودة والاعزاز وهي تنظر إليها في إيمان :

[تستطيعين ترك الأمر كله لبراد اليوم ، ومن الأفضل لك الحصول على راحة من الفلنق والانشغال بشؤون المنزل على ذلك النحو المرحق الذي تعودته في الآونة الأخيرة]

[لست قلقة فلما أحب أن أشارك في العمل إنه يعطيني إحساسا بالإنتماء وهذا يسعدني كثيرا . فليس هناك أدعى إلى السرور في إحساس المرء بأنه ينتمي إلى شيء ما]

وماد الصمت بينهما لفترة وجيزة وبعد ذلك قالت أليسبا في هدوء :

[ألا يوفر لك كونك زوجة لبراد هذا الإحساس بالإنتماء الذي تشعنين ؟]

[الأمر مختلف فأُسرة نورثون عاشت هنا في فارلي لمدة تزيد على خمسمائة عام ، وبراد جزء لا يتجزأ من هذا التاريخ . وهو يحب هذا المنزل بكل كيانه وبشاعره]

[أنت وجدت نفسك أيضا تشعرين بمثل هذا الحب للمكان ومن ثم حرصت على المشاركة . حسنا ، أنت أسعد حظا من البعض يا عزيزتي ، ذلك أنك تستطيعين الوصول إلى ذلك الجزء من قلبه . لقد كان هناك جانب في والده لم أستطع أن أفهمه ، ربما لأنني لم أشأ أن أحاول ذلك أن مانير كان مستعدا للذهاب إلى أي مكان وافضل أية خطط يمكن أن نضعها من أجل عمله . فالإنسان العادي يكتفي بمسؤولياته عن أمرته وعن عمله خاصة إذا كان قاضيا مثل مانير ، لكنه لم يكن يكتفي بذلك . فكل الناس الذين حاكمهم أصبحوا موضع اهتمامه الدائم . كان يلاحق مصير الرجال الذين يرسلهم إلى السجن ، ويرب وظائف لهم عند الإفراج عنهم ، ولا يشعر بالندم أبدا عندما كانت هناك غالبية تقابل عمله وجهده بعدم العرفان وتعود إلى أسوأها القديم في الحياة خلال أسابيع قليلة . أعتقد أنه يمكن أن نسميه الرجل الإنسان لكتي لم أستطع أبدا أن أفهم لماذا يجب علي أن أعاني من أجل احتياجات أولئك الذين لم يكونوا أبدا يستحقون مساعدته]

ونظرت إلى أعلى والتفت نظراتها بنظرات ليزا وأضافت مستطردة :

[لا ترتكبي نفس الخطأ الذي ارتكبته أنا باليزا . هناك أعماق في الإنسان كن فصل إليها أي امرأة والمرأة الحكيمه ستقبل هذا وتنعم لأقصى حد بما لديها فعلا]

وتساءلت ليزا كيف يكون حال المرأة التي ليس لديها شيء أصلا ، ماذا

سيحدث لها ؟ . وبعد قليل بدأ النعاس يغالب أليسبا وانسبت عائدة إلى البيت . وفكرت ليزا في أنه لا بد أن يكون هناك شيء ما تفعله لتضييق الوقت الذي مازال طويلا أمامها . لم يكن هنا أثر لبراد أوجيفري . وقد أخبرها أحد الكهنة الذين أتوا إلى الطابق الأعلى من المنزل .

ودخلت ليزا إلى المكتب وأتت نظرة أخرى على الخطط ولاحضت بكل الرضا كمية العمل التي تحققت فعلا ، وأدركت أنه إذا حافظهم الحظ فيمكن الانتهاء قبل أن يبدأ الطقس السيء باعتبار أن ذلك كفيل بتجنب كثير من المضاعف .

وعندما أغلقت تتأمل تخطيط الطابق الأرضي وجدت نفسها تشلبي بجمع المقاسات الداخلية التي وضعها براد بالنسبة لكل غرفة . وتجهمت فجأة فقد كان الأمر غريبا . لا بد أنها أخطأت في الحساب ومن ثم شرعت في الحساب من جديد . لكن المحاولة الثانية أوصلتها إلى النتيجة نفسها . وأحست ليزا بحالة من الانفعال الشديد ، هل يمكن أن يكون براد قد أخطأ في إدراك الفرق بين المقاسات الداخلية وبين المقاسات الخارجية بالنسبة للجناح الجنوبي ؟ وحتى مع حساب سمك الجدران الخارجية والقوامع بين الغرف فانه يبقى مايزيد عن أربع أقدام غير محسوبة .

وظفت واقفة هناك تعصر ذهنها وتتأمل بتمعن مختلف الغرف . وتساءل أين تكمن هذه الأقدام الأربع الضائعة . إن غرفة الجلوس مستعدة على وجه التحديد لأن كل جدرانها تم نقشها من الجص القديم البالي حتى الشرائح الخشبية الموجودة في أسفلها . أما غرفة الطعام فقد زودت بالكواح وهناك احتمال أن يكون بعض معالمها اختلط بغيره بحيث أن جزءا منها أضيف إلى الممر الذي يقضي إلى المكتب . ثم هناك المكتبة . كانت تعرف أن هذه تضررت على نحو سيء من جراء حريق نشب بها في أوائل القرن السابع عشر ثم أعيد إصلاحها . وربما أعطيت تعليمات لهؤلاء العمال أن يتركوا تجويفا خفيا للمستقبل .

كانت المكتبة هي التالية مباشرة لغرف المكتب . ربما كان هناك في وقت ما باب موصل بينهما ، لكن الآن لا بد من الخروج من أحدهما إلى الصالة للدخول إلى الأخرى . وقبل أن تفعل ذلك قامت ليزا بقياس تقريبي لعرض الحائط بين مدخل الممر ومدخل المكتبة . وفعلت الشيء نفسه داخل الغرفة

رجوعا إلى الحائط القاطع الذي يفصل بينهما . وتأكدت من أنه لم يكن هناك أي سلاكة لا يمكن تفسيرها .

وحوالت انتباهها إلى الجدار الوحيد الآخر الذي يمكن أن يكون قد أقيم لاستخدامه في مثل هذا الغرض ، وتجنبته النقش البارز المدهش والمعقد لجيوبه وأجرت عينا فاحصة حاسية على الكتب التي تحيط بجاني المدفأة . لو أمكن تحريكها بعيدا عن الحائط لأمكن فحص أشغال الخشب وراءها .

وبعد ذلك بدقائق توصلت إلى استنتاج مؤداه أنها مبنية إلى الكسوة الخشبية للحوائط من ظهرها . وأعطاهما هذا فرصة للتفكير ، لكنه لم يبد اعتقادها الراسخ بأنه في مكان ما خلف هذه الجدران مساحة أربع أقدام ضائعة وكل ما عليها أن تفعله هو أن تجدها بأي وسيلة كلفها ذلك من جهد ووقت .

وبدأت مرة أخرى في فحص خزائن الكتب ، وركزت هذه المرة على الطريقة التي جمعت بها معا ، وأخرجت الكتب منها لكي تستطيع أن تحدد الطريقة التي تم فيها تثبيتها إلى الحائط . ومن هنا مضت إلى المساحات الموجودة بين الرفوف وأجرت أصابعها على خفاقي الكسوة الخشبية للجدران وأخذت تضغط على أي قطعة من أشغال الخشب تبدو أكثر ليانا .

ولكن كان عليها في نهاية المطاف أن تعرف بأنها ربما أخطأت . فلم تقض جهودها هذه إلى شيء . بل لم يد حتى أن هناك أي تجويف مشجع عندما أخذت تدق على الكسوة الخشبية بمقاصيل أصابعها . ومع ذلك فإن هذا الفارق في القياس لا بد من أخذه في الحسبان في شكل أو في آخر .

وتوقفت لئلا قليلا لتستريح وهي تخدق مفكرة في أحد المقاعد تاركة عينها تتسايان على الجدار كله . كانت هناك أربع خزائن للكتب ، الثتان على كل جانب من جانبي المدفأة وفوقها كانت الكسوة الخشبية متصلة تمتد حتى مستوى السقف . الكسوة متصلة . تلك هي العلامة التي كانت تبحث عنها ! لماذا ، في تلك الأيام التي كان فيها نقص حقيقي في الخشب ، نوضع الكسوة أصلا وراء الخزائن مادامت هذه الأخيرة تغطيها ولا تظهر منها شيئا . إن الخزائن كافية تماما لتغطية الجدران ، فلماذا الكسوة الخشبية خلفها ، وما هو الغرض من ذلك ؟

وبعد أن توصلت إلى شيء محدد تركز عليه جهدها وعملها عادت من جديد إلى خزائن الكتب وشرعت مرة ثانية في البحث . وفي الخزائن الثانية

من الشمال لاحظت شيئا جعلها تشفق بصورة حادة . فقد لاحظت وجود شق بسنك الشجرة في المكان الذي تتصل فيه الخزانه بالحائط ، كان رفيقا للغاية بحيث لم يكن مرئيا للعين المجردة ما لم تكن لديها فكرة مسبقة عما تبحث عنه . وأدركت لئلا عندئذ أنه لا جدوى من محاولة نزح الرفوف إن ما عليها أن تكشفه هو الآلية التي يمتصها يعمل هذا الباب المستتر .

وأستغرق الأمر نصف ساعة حتى توصل إلى ذلك الاكتشاف . فلي أسفل جانب كل خزانه كان هناك صف من الزهور والأشكال المحفورة في نقش بارز . ومرت عليها بأصابع حساسة وضغطت على الأحاديث الموجودة فيها ، منتظرة أن تشعر بالحركة التي تسيء بالتحجاج وأخيرا وبعد طول جهد وجدتها ، فقد انزلت إحدى أوراق الزهرة السادة إلى حد الجوانب محدثة تكه خفيفة لكنها مسرعة . كان ذلك هو السر .

وجذبت برقة الخزانه ودارت الخزانه كلها وبصورة سريعة نحوها ، كاشفة عن حوة مطلعة وراءها . ومرت بضع لحظات قبل أن تقهر لئلا رغبها من المناكب على نحو كاف جعلها تزيح جانبا خيوط شباكها التي تبتد المدخل وتدخل في التجويف . إن مساحتها تبلغ نحو أربعة أقدام في ستة أقدام . وربما كان ارتفاعه ستة أقدام أخرى ، كان التراب سميكاً على الأرضية ، فقد ظل في متاعى عن أقدام البشر طوال قرون . وفي أحد الأركان كان هناك وعاءان صغيران يبدو أنهما مصنوعان من الحجر وتغطيهما طبقة سمكية من التراب . اتحدت ورفعتهما أحد الوعادين واضطربت عندما تذكرت أن آخر شخص لمسهما قبلها ربما مات قبل ثلاثمائة عام . وقد يكون الوعاءان استخداما لوضع الطعام والشراب لشخص تعيش الحظ إحتيا هنا في حين كان البحث عنه يتم في كل أرجاء المنزل . أي جسيم أن يستلقي الإنسان أو يقف في مثل هذه المساحة المحصورة لفترة ربما امتدت أياما طويلة ، يستمع إلى أصوات الباحثين عنه في المنزل وهو يعرف أنه لو اكتشفوا المكان الذي يختبئ فيه فستكون لا نهاية فحسب بل نهاية كل الذين ساعدوه . وجاءها صوت من خلفها يسألها :

لأي شيطان هناك إلى هذا الاكتشاف ؟

استفاقت سريعا من أحلام الماضي وعادت إلى الحاضر لتواجه نظرات براء المدهشة . أجابت وهي حذرة من أن تقول أنها لاحظت شيئا غاب عنه هو شخصيا :

[لم تلبث صدقة حقا] كنت أنظر في الرسوم التخطيطية ولاحتفت فرقا
من تلك المذخبة]

[ومن تلك المذخبات الخارجية لهذا الجناح أذكر أنني لاحظت هذه الحقيقة أن
نصبي صعدا رسمت الرسوم التخطيطية لأول مرة لكنني سويتها تماما]

لم تقدم لي في نظري عن كتب إلى التجويف وأضاف قائلا :
[لكن ذلك لا يفسر كيف عرفت أين تبحثين ، ما الذي قاد خطاك إلى
المكتبة ؟]

ورفعت ليذا الوعاء الحجري وهي تقول ليراد :

[عن طريق عملية الاستبعاد . أنظر إلى هذا وهناك واحد لابد أن يكون قد
استخدمناه لوضع الطعام والماء ، ألا تعتقد هذا ؟]

وأخذه منها وهو يديره بين يديه ويقول :

[محتمل جدا ، كم من أنصار الملكية المخلصين حماهم هذا التجويف قبل
اليوم الذي طرد فيه كروميل الذي ناز على الملكية في انكلترا]

وقالت ليذا وقد بدأ الاهتمام بالموضوع واضحا في صورتها :

[أنت لم تقل لي أن المنزل صودر . كم كان الأمر مرعبا بالنسبة لتلك
السيدة المسكينة ماذا حدث لزوجها ؟]

[قتل في الحرب ، لكن ساره رفضت أن يكون موته سببا في كراهيتها
للقضية التي حاربت من أجلها ، برغم أنها هي نفسها جاءت من زمرة
مناصرة للثورة . وسمح لها أخيرا بالعودة إلى فارلي ، لكن جزعا صغيرا فقط
من أرض آل نورتون هو وحده الذي لم يكن قد تم بيعه ، كما جرد المنزل من
كل شيء يمكن أن تكون له قيمة]

[لكن ذلك كله لابد أن يكون قد تم تعويضه بعد عودة الملكية . ذلك أن
نورتون فارلي قدم حياته فداء العرش ، لاشك أن الملك شارل كان مدينا
لأرملته]

[لم يكن الولاء والاحلاص محل تقدير في تلك الأيام يا طفلي العزيزة .
فقد كان لدى شارل الثاني أشياء عديدة تشغله أكثر أهمية من الحقبة التي أنت
بأسرة منكوبة أخلصت له . وكان من حسن طالع الأسرة أن ساره لم تكن من
النوع الذي يجعله يغضب بنهار . فقد استطاعت بطريقه أو بأخرى أن تجعل
القبائل الذي ترك لها يد عائلتها معقولا ، لكن ثروة الأسرة لم تعد أبدا إلى

حالتها . واضطرت الأجيال التالية إلى بيع المزيد من الأراضي حتى تركت
فارلي في النهاية وليس فيها سوى الأفدنة القليلة التي يملكها حاليا ومنزل
واحد فقط من بين ستة منازل كانت موجودة أصلا ، وقد أتاح هذا والدخل
الناجم عن السماء للجمهور بالتفرج على فارلي باستمرار الوضع على ما هو
عليه منذ أيام جدي وهناك إيجار ربع سنوي يجيء من الكوخ ، ليست ذلك]
كان هذه أول مرة يذكر فيها براد الكوخ وقد أتاح هذا ليذا فرصة لكي
تذكر عرضا أنها التقت بساكنه لكن الكلمات لم تطاوعها . ومدت يدها
لتحسس جوانب التجويف وقالت :

[لابد أنها مسدودة بشيء ما لمنع حدوث أي فيجوات . لابد أن تحريك
المدفأة أربع أقدام إلى الأمام كان مهمة شاقة . وأني لأعجب لما كانت ساره
تخس به عندما كان رجال الفرقة يفتشون في هذه الغرفة]

[انصبر أنها كانت مرتعبة ، فلو اكتشفوا أنها كانت تخفي أنصار الملكية
لكان ذلك معناه إعدامها قولا . لابد أنها كانت امرأة تملك شجاعة نادرة ، إن
رجالا قليلين يمكن أن يزعموا أنهم يتصورون وجود مثل تلك القوة
والإخلاص والوفاء لدى نساء صميم عال الانتقام لمقتل أزواجهن . ماذا
كنت تفعلين لو كنت مكانها يا ليذا ؟ هل كنت لواصلين معركة زيجك
ضد الظالمين أم كنت تفضلين الطريق الأسهل وتحسين أوضاعهم وتسلمين
تسليما كاملا بكل ما يريدون بإقرارا للسلامة ؟]

[وما هو رأيك أنت ؟]

[أعتقد أنك ستحارين من أجل الرجل الذي تحبينه . لكن السؤال : هل
كنت ستقدين على نوع الحب الذي عرفته ساره ؟]

وألمها قوله كما لو أن سكين حادة انخرست في قلبها وقالت :

[ربما لا . إن عددا قليلا لحسب هو الذي يستطيع أن يحب شخصا آخر
أكثر مما يحب نفسه]

وأجبت فجأة بأن الاكتشاف الذي توصلت إليه فقد جاذبيته . وخرجت
من التجويف إلى المكتبة وتجاوزته وهي تشيح بوجهها عنه لم قالت :

[الوقت متأخر ، هل تناولت قهرك ؟]

[منذ فترة طويلة للغاية . اعتدت أنك خرجت لتعشي ونسيت الوقت .

سمعت إنك اعتدت الاختفاء لفترات طويلة]

وأعاد جراحة الكتب التي مكانها لم استدار لينظر إليها ويقول :
 [أين تذهبين يا ليذا ؟ هل وجدت محباً تقلسين فيه وتتحيلين أنك هربت
 من فارلي ومني ، حتى لو كان ذلك لفترة محدودة ؟]
 لمساءلت ليذا هل عرف أنها ذهبت إلى الكوخ ؟ أملاً هو السبب في أنه
 ذكره منذ لحظة ؟ لكنها استبعدت ذلك ، فلو كان فعل ذلك لأثار الموضوع
 مباشرة . وأجابني :

[قلت لي أنني لا أستطيع ذلك . فأينما ذهبت فإن ذكرى حفلتنا التكرية
 هذه ستلاحقني]

وأصبحت ملامحة البروزية قاسية متصلة وهو يقول :
 [أية حفلة تذكيرية ؟ نحن زوجان حقيقيان يا ليذا بكل ما في هذه الكلمة
 من معنى]

[وماذا يحدث عندما يضعف شوقك الي ؟]
 [مهما حدث فلن يكون هناك طلاق . يمكنك التأكد من هذا .
 والآن أقترح أن تغيري ملابسك قبل تناول الغداء ، فإن شوارب سينظم
 اليها اليوم]

١١ - البداية !

كان وجود ضيف إلى مائدة الغداء في ذلك اليوم مدعاة لتخفيف التوتر
 واضغاء الإحساس بالراحة والتخلص من جو الشد ، كان الدكتور أدامز هو
 الطبيب الممارس العام للمنطقة . كما أنه صديق حميم وقديم لأسرة ماتيو
 نورتون ، كان رجلاً هادئاً حلو السمائل وودوداً يرتدي الحلة القديمة من قعاش
 التويد صيفاً شياً على حد سواء ويبدو عليه الإنشغال والتفكير عادة . وكان
 الوقت في المنزل الأولى من اهتماماته ، يحرص عليه وعلى الاستفادة منه إلى
 أقصى حد ، وحتى كان لديه وقت فراغ لمدة ساعة أو ساعتين ، مثل ذلك
 اليوم فإنه يظل يتطلع إلى ساعته ويتباه إحساس مستمر بأنه يبدو وقته وأن عليه
 أن يقوم باستغلاله بطريقة أفضل .

وقد تحدث على المائدة حول الاكتشاف ليذي توصلت إليه ليذا عن ذلك
 التجويف ذي الباب السري في غرفة المكتبة . وقد أبدت أليسيا اهتماماً بالغاً
 بهذا الاكتشاف وكانت تود الذهاب فوراً لولا أصرار الطبيب على أن تترك
 رؤية المكان السري إلى ما بعد فترة راحتها في الأصيل . ولم تفلح محاولاتها
 لإقناع الطبيب بأنها على ما يرام ، وأن الذهاب إلى المكتبة لن يرهقها في
 شيء ولكن بسبب أنها أي خبير . لكن الطبيب أصر على موقفه .
 وقال بحزم :

[إنك متعبة بالفعل . وإذا كان هذا التجويف الموجود في غرفة المكتبة يفي
 غي مكانه لمدة طويلة تريد على ثلاثمائة عام ، فإنه على وجه التأكيد لن يحتضن
 من المكتبة خلال الساعات القليلة الباقية من الوقت الذي اقترحه عليك]
 وعندما مضت أليسيا إلى غرفة نومها لتستريح قال الطبيب لكل من ليذا
 ويراد وهو يتنقل البصر بينهما في تعجل :

NOOR

[أريد أن أتحدث إليكما ؟ فهل تفضلان بالاستماع الي ؟]

ورفع براد رأسه من على فنجان القهوة الذي كان يرتشف منه ، ونظر الى الطبيب وهو يتوجس خيفة بما سيقوله وسأل :

[هل حديثك يا دكتور آدمز يتعلق بأمي ؟]

وأومأ الرجل المسن برأسه وقد بانت على ملامحه إشارات التفكير العميق ، وقال : [نعم الحديث سيكون عن أليسا . لا تنظر الي يا براد على هذا النحو فأنا لن أقول لك أن حالتها تسوء على النقيض من ذلك ، إن ما سأقوله لك كتنوير عن حالتها هو العكس تماما . أنت تذكر يا براد أننا عندما استدعينا الإخصائي لفحصها وتقرير حالتها منذ ثمانية عشر شهرا قال إنه في ضوء حالتها الصحية العامة حينذاك فإن عملية جراحية ستكون ميمية بالتأكيد .

قال براد وهو يحدق في الطبيب :

[نعم حدث هذا فعلا ، ومازلت الي الآن أذكره]

فتنهذ الطبيب وهو مستمر في نقل نظراته فيما بين براد وليزا وقال :

[حسنا ، أنا من رأيي الآن أن العوامل الإيجابية بانت متوفرة فهي تزداد قوة بانتظام ، خاصة خلال الأسابيع الأخيرة . وبالذات منذ أن أحضرت زوجتك معك الي فارلي . وفي أي حال فأنا أود أن تستدعي الدكتور سومرز لكي نستشير مرة أخرى ونقرر في ضوء ما يتوصل اليه من نتائج]

[لنفرض أن العملية الجراحية بانت ممكنة ولا خطر منها ، فما هي فائدتها بالنسبة اليها على وجه التحديد ؟ هل ستؤدي هذه العملية الي نتائج إيجابية معينة ؟]

[إنها ستطيل عمرها لعدد غير محدد من السنوات ، وتجعل الحياة بالنسبة اليها أسهل وأكثر مدعاة للسرور والبهجة . حتى لو أن سومرز لمسه قال إن فرصة نجاح العملية مساوية لفرصة عدم نجاحها فإني شخصيا أرى أن الأمر جدير بالمخاطرة . ذلك أنه في ظل الوضع الصحي الراهن لأليسا هناك فرصة لإصابتها بنوبة أخرى ، وفي هذه الحالة ستكون نهايتها على وجه التأكيد . أمك يا براد امرأة شجاعة لكن جسدها تعرض لتعذيب كاف لا يجب أن يستمر أكثر من هذا . ومع استبدال ذلك الصمام في قلبها يمكن أن تبدأ حياة جديدة بكل المقاييس والمعايير المعروفة]

وسأل براد وهو يحس أن قلبه يكاد يتوقف من فرط خوفه على أمه :

[ماذا سيحدث إذا لم نضم بإجراء هذه العملية الجراحية وإذا لم نتعرض الي نوبة أخرى ؟]

وتردد الطبيب طويلا ثم قال : [من الصعب أن نقطع في الأمر على وجه اليقين ، ففي أوائل هذا العام بدت مستسلمة تماما ، كأنها فقدت الرغبة في العيش . أما الآن فهي امرأة مختلفة تماما . ولابد أنك نفسك لاحظت كيف ذهب عنها هذا الشعور بالفتور والإذعان ، إنها تريد بتلعب أن ترى أول حفيد لها ، ولاشك أن قوة إرادتها هي التي تجعلها تحيا بأمل أن ترى هذا الحلم يتحقق . لكنها في أحسن الأحوال ستكون عاجزة ويجب مراقبتها في كل خطوة وفي كل حركة]

[فهمت . هل ذكرت أي شيء عن هذا لأمي ؟]

[لا ، فأنا أود الحصول على رأي سومرز قبل أن نطلعها على الأمر]

قالت ليزا : [لكن زيارة الأخصائي لها مرة أخرى قد تجعلها تعتقد أن حالتها تزداد سوءا]

[لا ، لأننا سنقول لها إن ذلك متفق عليه ، حيث نقرر أن يحضر مرة أخرى بعد مرور ثمانية عشر شهرا للمراجعة]

وسأل براد بطريقة مقتضبة ونظرة مازال مركزا على المائدة :

[متى تعتقد أنه سيكون في استطاعتك إحضار الأخصائي لرؤيتها ؟]

[أعطيت نفسي حرية الاتصال به هاتفيا هذا الصباح وحددت موعدا معه . سيأتي يوم الأربعاء في الساعة الثانية بعد الظهر]

ونفض واقفا وسار بضع خطوات في الغرفة وأضاف : [وبما أن لدي زيارة في سبوتون الساعة الثالثة فإنه يجدر بي أن أنصرف حالا]

ووقفت ليزا معه في الردهة بينما ذهب براد ليحضر له قبعته وحقيبته وسأله ليزا : [هل تعتقد حقا أن هناك فرصة طيبة لإجراء هذه العملية دون أي خطورة ؟]

وأجاب ستيوارت وهو يتفكر فيها مليا :

[لست أنا من يقول الكلمة الأخيرة ، ومع ذلك فإني أود بالإيجاب على سؤالك . على الأقل يمكنني القول باطقتان وثقة كاملين أن حالة أليسا وظروفها الصحية العامة في الفترة الراهنة هما في أفضل وضع يمكنها من تحمل إجراء الجراحة . وبمناسبة الحديث عن الحالة الصحية العامة ، فإنك

أنت نفسك تبدين شاحبة . وقد لاحظت أنك لم تأكلي شيئا تقريبا . ربما كان عليك أن تزوريني في العيادة لإجراء فحص شامل لجرد الإطمئنان إلى أن كل شيء على ما يرام .

[ليس هناك شيء كان الجو حارا فحسب خلال الأسبوعين الأخيرين مما سبب لي إرهاقا ، إن كل شيء يذبل في هذا البلد لو أشرقت الشمس مدة تزيد من يومين متتاليين . لسنا متعودين على الحياة في ضوء الشمس المشرقة بصورة مستمرة]

فرد الدكتور ستوارت وهو لا يزال يحدق في وجهها :

[أنا أوافقك على هذا ، لكنه لن يترتب أي ضرر على رغبتنا في أن نطمئن وأن نتأكد ولذلك فأتا مصر علي أن تزوريني لإجراء الفحص]

وربت على كشفها بطريقة أبوية واستدار إلى براد عندما رآه قادمًا بحقيقته وقال : [شكرا لكما . وأتضمن أن تنتهي كل هذه الأعمال في المنزل وما تسببه من فوضى وإرباك بحيث لا تضطرون إلى نقل كل شيء من مكانه كما هي الحال الآن]

وابتسم براد وهو يناول الدكتور ستوارت أشياء وقال : [كان كل هذا ضروريا وهو في أي حال واجب لن يكون علينا مواجهته مرة أخرى . والواقع أن هؤلاء الرجال يعرضون عملهم جيدا ويتقنونه إلى أقصى حد]

[لكنني ما زلت أقول لك أن كل هذه التكاليف لا تبررها النتائج . وما زلت أعتقد أنه كان من الأفضل أن تدع الدولة تأخذ البيت وتحصل لنفسك على مكان أصغر . وذلك سيكون أنسب لأهلك أيضا . ذلك أن تغييرا من هذا النوع سيفيدك كثيرا]

وسأله براد وهو يرفع حاجبه دهشة : [هل هذا رأيها أم رأيك ؟]

وضحك الطبيب وهو يقول : [إنه رأيي طبعاً . إن أليسيا متمسكة بهذه الأطلال القديمة مثلث تماما ، في أي حال علي أن أذهب قورا وإلا تأخرت إلى اللقاء يوم الأربعاء ، وسأترك لك يا براد أن نخبرها بزيارة إعادة الكشف التي سيقوم بها الدكتور سومرز . اذكر ذلك عرضا فقط ، تذكر هذا ، كما لو كنت تذكرها بهذا فحسب . فأتا لا أريدها أن تتفعل في هذه المرحلة]

وعندما عاد براد ولجأ بعد اصطحاب الطبيب حتى الباب لتوديعه قال براد : [سأذهب إلى المكتب . يمكنك أن تقولي لبوني أنني سأتناول الشاي هناك]

لدي بعض العمل]

ورأته ليزا وهو يتحرك عبر الردهة دون أن ينظر إليها :

[وجاءت عطلة نهاية الأسبوع طويلة عملة . قضى براد الجزء الأعظم منها مجبوسا في المكتب لا يخرج منه إلا لتناول الطعام . وراحت ليزا تتجول في كل مكان من المنزل تقرأ قليلا وتتكاسل كثيرا ، ويبدو أن كل الطاقة التي تميزت بها خلال الأسابيع الماضية نضبت . بل أصبح النهوض والذهاب إلى غرفة الطعام في مواعيد الأكل أمرا مجهدا . واتصل بها ريك هاتفيا في نهاية أصيل يوم السبت . وعندما ذهبت إلى الصلاة لئلا تتركها على المكالمات وجدت نفسها تتسائل كم من الوقت سيمضي قبل أن يطلب منها تقودا . إنها لا تملك شيئا خاصا بها ، ويستحيل أن تطلب من براد أن يستمر في مساعدة أحيائها .

قال ريك : [أنا أحدثك من كنتز كروس . أتا في طريقني إلى الشمال]

[ماذا تقصد بقولك إنك في طريقك إلى الشمال ؟ هل أنت قادم إلى هنا ؟]

[كلا ، حصلت على وظيفة في نيوكاسل . إسمعي يا ليزا .. أنا أعرف أنك لن تقري هذا ، لكنني سأعمل لدى رجل افتتح كازينو هناك . ذلك ما كنت أريد أن أفعله ، وهناك إمكانية لمشاركته فيما بعد أنا أعرف . هل تضحكين ؟]

بالفعل كانت ليزا تضحك ، كان ريك يمني مستقبله بطريقة إنه ليس في حاجة إليها . ليس هناك أحد في حاجة إليها وقالت : [إن المثل يقول من لا يستطيع أن تغلبه انضم إلى صفوفه . وتلك حياتك يا ريك]

ضحك ريك وعندما استأنف الحديث بدا مرتبكا وقال :

[تغيرت كثيرا يا ليزا ، اليس كذلك ؟ في فترة من الفترات كنت تبذلين قصاري جهنك لإثباتي عن عزمي هذا . ألن نحاولي حتى معرفة مزايا الوظيفة التي تغلبت عنها ؟]

[هل من هذه المزايا أن تعرف بيدك من خزنة الشركة ، أنا آسفة ، لم يكن ينبغي أن أقول هذا لكنك أنت السبب في كل ذلك]

وجاءها صوته حزينا شاعرا بالتدم والآسف وهو يقول :

[تلك هي الحقيقة في نهاية الأمر . في أي حال لا تخشي أن أتورط في مثل هذا العمل مرة أخرى ، إن مرة واحدة كانت كافية]

[نعم]

لم تستطع ليزا أن تفكر في شيء آخر تقوله ، كانا على طرفي نقيض . إن الأخ الذي ظننت أنها تعرفه ليس ريك . وأخيرا قالت : [في أي حال أتعنى لك حظا سعيدا في العمل الجديد وأمل أن تحقق فيه كل ما ترجوه]

[شكرا لك ، بلخي غيالي إلى صهري وقولي له إنني ربما أصبحت قريبا في وضع يتيح لي أن أسدد مبلغ الخمسمائة جنيه]
[لن يأخذها لكنني سأبلغه ذلك]

وبعد ما وضعت السماعة أدركت أنها لم تعد تشعر بأنها فقدت شيئا بذهاب ريك . كل ما أدركته هو أنها باتت تحس بالراحة لأنها لن تضطر أن تقلق عليه أو تهتم به . فلو أنه مهتم بالعمل في هذا الكازينو فإنه لن يغامر أبدا بنفس مستقبله .

كان براد واقفا على مقربة منها أسفل السلم ورائه حين استدارت . لم تسمع وقع خطواته عندما جاء وجعلتها الصدمة الناجمة عن أنها وجدته قريبا منها تتراجع إلى الوراء رغما عنها وتغمغم قائلة : [أفرعتني ..]
ورأت شفتيه تتقلصان وهو يقول لها :

[من الواضح أن ذلك حدث . مع من كنت تتحدثين ؟]

وأرتبكت تحت وقع نغمته الغريبة ونظرة عينيه الباردة وقالت :

[مع ريك بالطبع]

وتقدم إليها فجأة وأمسك بها من كتفها وهو يقول :

[منذ متى وأنت تترددين على ليوك بلاند ؟]

ولما كانت لا تتوقع أبدا مثل هذا السؤال فقد بادرت بالرد بأول شيء خطر في بالها : [كيف عرفت هذا ؟]

وتقلصت عضلات فكيه بصورة حادة وهو يقول :

[بالطريقة نفسها التي يكتشف فيها كل الأزواج هذه الأشياء . فقد ذهبت إلى الكوخ لأرى بلاند ولم يكن هناك . لكن الصورة التي بدأ رسمها لك كانت هناك على الحامل]

وابيض وجهها وقالت متلعثمة : [براد . لا يمكن أن تعتقد أن ليوك وأنا .. إنه كان هناك ... براد . إنه كهبل في عمر والدي]

[لكنه ليس كهلا إلى درجة تمنع النساء من أن يربته جذبا . أنا أسألك

منذ متى تترددين عليه ؟]

[منذ سبعة أو ثمانية أسابيع]

[كل هذه المدة كنت تلقيه سرا وتطلبين مني أن أصدق أنها لقاءات بريفة تماما ؟ لا بد أنك تعتبريني مغفلا]

[ليوك مجرد صديق يا براد ، إنه شخص رائع لكنه ليس أكثر من صديق . هل يمكن أن تقول الشيء نفسه عن فيليسيا]

[لا تحاولي أن تقلبي المائدة على صديق ليس هناك رجل يعرفك لمدة ثمانية أسابيع ولا يحاول أن يغيرك]

[ربما تجد أنه من الصعب عليك أن تفهم هذا ، أنت تحكم على ليوك من واقع غرائزك ، لكن الأمر ليس كذلك على الإطلاق إنه لطيف ومنهم]

[كل الأشياء التي ليست في ، أليس هذا ما تحاولين أن تقولي ؟]

وفجأة ذهبت النار المشتعلة في عينيه وعاد صوته رقيقا وأخذ يتأملها في صمت لفترة طويلة ثم قال :

[هل تحببه يا ليزا ؟]

فاعترضت صارخة :

[كلا ، كيف يمكن أن أكون كذلك في حين]

وتوقفت يائسة . ورأت تعبير وجهه يتغير ويقول :

[في حين ماذا ؟ ماذا كنت ستقولين ؟]

وفكرت ليزا ، لا يمكن أن يكون هناك حرص على عدم إراقة مياه الوجه في وضع مثل هذا . فرفعت رأسها ونظرت إليه وقالت :

[في حين أن كل الحب الذي لدي مكرس لك]

واندفعت إليه ودفنت وجهها في صدره وي تنحب وتقول :

[كن عطوفا علي يا براد]

[أوه يا ليزا ، يا إلهي ، ليزا]

وعندئذ وضع ذراعا أسفل ركبتيها ورفعها إلى أعلى وسار بها عبر الممر إلى المكتب . ولم يحاول أن تتحرك عندما جلس في مقعد مريح هناك . لم يعد هناك أي دفاع الآن ، والشيء الوحيد الذي يهمها أن تعرفه هو أنه مهما حدث فإنها لا تستطيع أن تتحرك لأنه أصبح حياتها ، كل حياتها . وعندما رفع رأسه عنها وضعت يدها على فمه وقالت : [لا تقل أي شيء . أنا أعرف

أنت لا تستطيع أن تقول أنك تحبني، لكن هذا لا يهم.

أنا لا أحبك لأنها الحمقاء الصغيرة. لماذا تقولين هذا يا سابع يا أحبك.

لكنك قلت لي يا براد، تلك الليلة أنك لم تكن تحبني عندما طلبت مني

الزواج.

كنت أريدك لأنني محتاج اليك، لكنني أعتقد أنني بدأت أحبك في اليوم

الذي جئت بك فيه إلى المنزل. وقلت لي فيه أنك تريدني أن تصبح فارلي

محباً سليماً أملاً. يا حبيبتى إن الحب الحقيقي، الذي نمشه الآن، يأتي من

حقيقة الإنسان وعماشته. لهذا فإن الزواج مقامرة حقاً، لأنك لا يمكن

شخص على حقيقته إلا بعد أن تعاشره.

ماذا لم تقل لي هذا ليلة زفافنا؟ لقد كان ذلك كفيلاً بأن يحبنا كثيراً

من الآن.

لم تكوني في حالة تسمح لك بالإضفاء. طلبت مني أن أحب بلا أو نعم

فقط. وكنت أستطيع أن أتحايل على هذا لكنني كنت غاضبة للغاية.

يبدو أنني كثيراً ما أغضبتك في الأسابيع الأخيرة.

نعم بالتأكيد. لكن هذه الروح وذلك العناد جزء من المرأة التي أحبها، ولا

أريدك أن تتغيري حتى لو كنت تصلين بي أحياناً إلى حد العنف. وهذا

يذكرني بموضوع فيليبس، ما الذي تتصورينه بيتنا؟

أعتقد أنك مستمر في رؤيتها. ولما كنت عرفت أنك طلبت منها أن

تزوجها فأنا...

وهنا صرخ هاتفاً: عرفت ماذا؟ يا ألهي، هل هذا ما قالته لك؟

أليس ذلك هي الحقيقة؟

كلا، تلك الحقيقة لقد دار حديث عن الزواج، لكنه كان اقتراحاً من

جانها وليس من جانبي لقد اكتشفت ذلك الشرط في الوصية، ولابد أنها

رأت تلك النسخة التي أحفظ بها منها في درج المكتب. وعرضت على أن

تساعدني في استكمال الشروط مقابل نصف الميراث.

فهمت. هل كنت ستقبل لو لم يكن هناك طريق آخر؟

ربما. فقد كنت أحتاج إلى هذه النقود بشدة، حتى لو اضطررت إلى

إعطاء اسمي لامرأة لا أحس تجاهها إلا بالازدراء. أن فيليبس جميلة، وهي

تستغل هذا في الحصول على ما تريد. وعندما جئت بك إلى المنزل لم يكن

ضياح الثروة هو الذي أفقدها صوابها فحسب وإنما الطعنة التي أصابت

كبرياءها.

هل كانت الكبرياء هي التي جعلتك تعاملها كما لو أن شيئاً ما يحدث

بعد.

بعد ليلة زواجنا التي لم تتجح. نعم كان الأمر كذلك. لقد صنعت

على ألا أجعلها تعرف كم تجحمت نخطتها برغم أنني كنت أستطيع أن أتحققها

غوراً. هل لديك أسئلة أخرى؟

سؤال واحد. أين ذهبت مساء يوم الجمعة بعد أن تركت المكتب؟

قلت السيارة إلى منطقة أحبها في مالها مدبل وجلست في السيارة أفكر.

كان لابد أن أنفرد بنفسى. بعيداً عن المنزل وعنك، لأقرر ما سأفعله بالنسبة

إليها. كنت تدفعيني إلى الجنون.

وماذا قررت؟

قررت أنه على رغم أنني لا أستطيع أن أجعلك تحبيني، فإني لن أدعك

ترحلين. ولمعرفتي بك كان هناك طريق وحيد لذلك، هو أن أحبك طفلاً. هل

تحبين الأطفال يا ليزا؟

وضحكك وهي تقول:

ربما فات الأوان لأن أقرر ما أحبه وما لا أحبه في هذا الصدد.

وتأمل وجهها ملياً، ثم أدرك أنها حامل، فافتر لغزاً عن ابتسامة ملؤها

السعادة وسألها: شككت في الأمر منذ شهر مضى، وعندما فحصني الدكتور

أدامز أمس أكد لي أنني حامل.

شهر كامل ولا تقولني شيئاً؟

لم أستطع يا براد. بل أنني أعترف بيني وبين نفسي بهذا، فقد كنت أظن

أنت لا تحبني. ووجدت أنه ليس من العدل أن أحجب طفلاً في مثل هذا الجو

القائم بيننا.

والآن أحس بأنه لدى كل شيء. حبيبك، وطفلك، وبيتك. وليس هناك

امرأة تحلم بأكثر من هذا.

بل هناك أكثر وأكثر، وهذا ليس سوى البداية.

NOOR